المكتبة اللغوية

مسارات لغوية

تأليف

الدكتورة منيرة محمد علي حجازي

الأستاذ المساعد بقسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1433هـ-2012
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

حجازى ، منيرة محمد على
مسارات لغوية / تاليف : منيرة محمد على حجازى
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2012
1808 ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-341-574-0
1- اللغة العربية – النحو
ا- العنوان

ديوى: 415,1

رقم الايداع: 2012/13062

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي إليه المآل.. ولنور وجهه تتطلع الآمال.. والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى خير من نطق بالضاد.. وعلى آله وصحبه المستكملين الشرف.

هذه مسارات لغوية تتشعب في مناحي لغة اللسان القويم... أقدم فيها رؤية لغوية لبعض القضايا النحوية والصرفية مما حواه تراثنا الزاخر الباقي بقاء القرآن الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾(فصلت: ٤٢،) الذي أنعم ربنا علينا ببقائه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩).

وقد سبق أن نشرت هذه البحوث اللغوية في بعض المجلات العلمية، ورأيت أن أجمعها بين دفتي كتاب لتتم الإفادة منها بإذن الله وبمشيئته.

المؤلف

د. منيرة حجازي

القاهرة في ٢٠١١/١/١

المبحث الأول:

المستويات اللغوية في جموع الكسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة البحث:

لم يحظ باب من أبواب العربية بالخروج عن المقاييس التي وضعها الصرفيون مثلما حظي باب جموع التكسير، مما جعل دراسة هذا الباب عسيرة مضنية، وعلّة خروج هذه الأبنية عن القياس يمكن الوصول إليها، إذ إنّ المرونة اللُّغوية على لسان العربي، وتعدد البيئات اللُّغوية يصعب معه إخضاع مفردات اللُّغة جميعها إلى مقاييس مطّردة لا خروج عليها.

فكيف كانت نظرة أشهر اللغويين المتقدمين من لدن سيبويه والمتأخرين حتى الاستراباذي لما خرج عن أبنية جموع التكسير القياسية؟ وما مستويات جموع التكسير في النص القرآني من حيث المقيس وغير المقيس؟ وكيف تعامل العربي مالك اللغة مع هذه الجموع التي يدرك إحساسه اللُّغوي أنها على غير مقاييس ما يتكلم به؟

فهذه ثلاثة مستويات يقوم البحث على توضيحها.

المستوى الأول: مستوى القاعدة، ويقصد به مقاييس أبنية هذا الباب وما خالفها، وموقف أشهر اللُّغويين المتقدمين والمتأخرين مما خرج عن أقيسة الباب. عرضت فيه نصوصا توضّح رأي كلّ لغويّ، وقارنت بين آراء الأوائل والمتأخرين من خلال النصوص؛ كي ألقي الضوء على اتجاه المتقدمين، وتصاعد الأسس المعرفية وتوالدها والمعلومات المتكررة والمعلومات المستجدة عند المتأخرين.

وقد اتّبعتُ المنهج الاستقرائي التحليلي، فقمت باستقراء النصوص وتحليلها، واستخلصت الأسس المنهجية التي ينتهجها العالم اللُّغوي في دراسة هذا الدرس الصرفي.

المستوى الثاني: مستويات جموع التكسير في القرآن الكريم، حيث إنّه تمثّلتْ فيه ظواهر الخروج اللُّغوي على مقاييس اللُّغويين في هذا الباب، فقد جاء فيه المسموع غير المقيس، وجاء فيه ما لم يقره علماء اللغة من جموع، وتعاقبت فيه أبنية جموع القلة مواقعها، ووقع جمع الكثرة موقع جمع القلّة. مما يلقي الضوء على قصور المقاييس اللغوية وعدم استيعابها لأبنية القرآن الكريم.

المستوى الثالث: مستويات جموع التكسير على لسان الناطق العربي. وقد عالجت في هذا المستوى نقطتين تضيئان موقف العربي النّاطق. **الأولى**: المرونة اللغوية على اللسان العربي، ودورها في إلقاء الضوء على أسباب تعدد الأبنية اللغوية للكلمة الواحدة. **والثانية**: المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، توضّح هذه النقطة كيف تعامل العربي مع الأبنية التي يدرك حسُّه اللغوي أنّها تخرج عمّا يتكلم به في بيئته اللغوية.

وقد اتّبعت في المستويين الأخرين المنهج الوصفي، إذ يرتبط هذان المستويان بنصوص قرآنية وبالحديث الشريف ونصوص أدبية نثرية وشعرية.

والله المستعان ومنه وبه التوفيق

وله الحمد في الأولى والآخرة

أولاً: مستوى القاعدة وموقف اللُّغويين المتقدمين والمتأخرين مما خرج عن القياس من جموع التكسير

كان المتقدمون من علماء العربية أكثر سعة أفق في تقبُّلِ ما خرج من جموع التكسير عن الأبنية التي وضعها الصرفيون.

رأي سيبويه:

فإذا استعرضنا موقفهم بدءًا من سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان (١٨٠هـ) نجده لم يحكم على ما خرج عن أقيسة الباب بالشذوذ، إنّما يحمله على نظيره من الأبنية.

فقياس (فَعْل) من الأسماء الثلاثية صحيحة الفاء والعين يجمع على (أَفْعُل) ويقول سيبويه فيما خرج عن (أفْعُل)"والقياس في (فَعْل) ما ذكرنا، وأمَّا ما سوى ذلك فلا يُعلم إلا بالسمع ثم تطلب النظائر"[١]

ويحمل سيبويه (قُتلاء) على (ظُرفاء)؛ إذ إنّ قياس جمع (فَعيل) وصفا بمعنى مفعول جمع كثرة على (فَعْلى) يقال: أسرى وقتلى. يقول سيبويه: "وسمعنا من العرب من يقول (قُتلاء) يشبّهه بـ(ظريف)؛ لأن البناء والزيادة مثل بناء(ظريف) وزيادته"[٢]

أو يحمل سيبويه الجمع الخارج عن القياس على أصل الباب، يقول

---

(١) «الكتاب» سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، ٥٦٨/٣، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب.

(٢) «الكتاب» ٦٤٧/٣.

في (فَعْل) معتل العين بالياء لأدنى العدد على (أفْعال)، إذ لا يأتي منه (أَفْعُل) كراهية الضمة مع الياء مثل بيت أبيات. يقول سيبويه: "وقد بنوه على الأصل فقالوا (أَعْيُن)"[١]

أو يعتل سيبويه للجمع الخارج عن القياس بِعلّةٍ لغويّة. ف (فِعْل) معتل الوسط لا يكسّر لأدنى العدد على (أفعال) لكن جاء فِيل وأفيال وجِيد وأجياد. فيعتلّ سيبويه لمجيء الجمع على هذا البناء أنّ ربّما كان الأصل (فَعْل) أو (فُعْل) ثمّ كُسرتْ العين لمناسبة الياء، يقول: ".. وقد يجوز أنْ يكون ما ذكرنا (فَعْلا)، يعني أن (الفِيل) يجوز أن يكون أصله (فُعْلا) كُسِر من أجل الياء كما قالوا أبْيض وبِيض، فيكون الأفيال والأجياد بمنزلة الأجناد والأحجار." [٢]، أي بمنزلة ما كان مفرده على(فُعْل) و(فَعَل) مثل جُند وحَجَر.

إذًا فقد وضع سيبويه منهجا لغويًا حين تعامله مع جموع التكسير التي خرجت عن أقيسة الصرفيين يتمثّل في تحقيق هذه الجموع من مظانّها، ثمّ حملها على المقيس من أبنية الباب، أو يحمله على النظير، أو يعتلّ بعلّة لغويّة تعلِّل مجيء الجمع على غير القليل مما حُمل على أصل الباب معتدّاً بالسّماع.

رأي المبرد:

فإذا انتقلنا إلى المبرّد أبي العبّاس محمد بن يزيد (٢١٠-٢٨٥هـ)

---

(١) «الكتاب» ٣/٥٨٨.

(٢) «الكتاب» ٣/٥٩٢.

وجدنا منهجه على طريقة سيبويه، لكنّه يفتح باب القياس على القليل الذي حُمِل على أصل الباب، ويوسّع له طريقا في باب الضرورة الشعريّة، معلِّلا بأن فيه رجوعًا إلى الأصل.

يقول المبرد في (أعين): "فإنه جاء على الأصل" ثمّ يقول "وإذا اضطرّ شاعر جاز أن يقول في جميع هذا (أفْعُل)؛ لأنّه الأصل." (١)

ويدعّم المبرد البناء الذي خرج عن القياس بالقراءة القرآنية. ففي تحريك العين من (سُقْف) جمع (سَقْف) فيقال (سُقُف) وفي (رُهْن) جمع (رَهْن) يقال (رُهُنْ) يذكر قراءة أبي عمرو لتدعيم البناء المضموم الفاء والعين فيقول: "وتقول: سَقْف وسُقُف، وإن شئت حرّكت كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾(الزخرف: ٣٣)وقالوا: رَهْن ورُهُن. وكان أبو عمرو يقرؤها: (فَرِهَنٌ مَّقْبُوضَةٌ) [البقرة: ٢٨٣]"(٢)

رأي ابن السراج:

وابن السراج/ أبو بكر محمد بن سهل (٣١٦هـ) يفتح باب القياس على مصرعيه لقياس الصفات على الأسماء في جموع التكسير يقول: "والأسماء أشدُّ تمكنًا في التكسير، فمتى احتجت إلى تكسير صفة ولم تعلمْ أنَّ العرب كسّرتها فكبِّرها تكسير الاسم الذي هو على بنائه؛ لأنّها أسماء وإن كانت صفات."(٣)

---

(١) «المقتضب» لأبى عباس محمد بن يزيد المبرد، ١٩٤/٢،تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٨٦.

(٢) «المقتضب» للمبرد ٢٠٠/٢، ٢٠١.

(٣) «الأصول في النحو» محمد بن سهل بن السراج ١٥/٣،تحقيق د. عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

رأي أبي علي الفارسي:

ويسير أبو علي الفارسي/ أحمد بن عبد الغفّار (٣٧٧هـ) على نهج سيبويه، فيحمل على الأصل، ويقيس على النظير.

فيذكر أبو علي قياس تكسير جمع القلّة لـ(فَعَل) الصحيح على (أفْعَال) مثل جَمَل وأجمال وأَسَد وآساد.[١] ثم يذكر أنّه يكسّر أيضًا على (أَفْعُل) حملاً على (فَعْل)، يقول: "وقد كسروه على (أفْعُل) كما كسّروا فَعْلا عليه وذلك: زَمَنْ وأَزْمُن. وجَبَل وأجْبُل"[٢]

ويعزو أبو علي الفارسي تعدّد الأبنية لأصل واحد لعامل لغويّ، يربط فيه كثرة الاستعمال بكثرة التصرُّف في البناء، يقول: ".... وإذا لم تكثر الكلمة لم يكثر التصرّف فيها. ألا ترى أنّ المضاعف لمّا كان أقلّ من غيره في باب (فَعَلٍ) نحو مَدَدٍ، اقتُصِرَ بِهِ على (أفعال)."[٣]

ويوسّع أبو علي الوعاء اللُّغوي لاستيعاب ما جاء في الشِّعر ولم يرد في النثر مما خرج عن القياس من أبنية الجموع، وذلك عند تعليقه على نصٍ لسيبويه يقول فيه سيبويه: "وقالوا جُرْحٌ وجروحٌ" ولم يقولوا أجراح، كما لم يقولوا أقراد"[٤].

---

(١) انظر: «كتاب التكملة» لأبي علي الفارسي ص٤٠٢، تحقيق د. كاظم بحر المرجان الجمهورية العراقية. ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(٢) «كتاب التكملة» ص٤٠٥.

(٣) «كتاب التكملة» ص٤٠٧.

(٤) «الكتاب» لسيبويه ٥٧٦/٣.

فيستشهد أبو علي الفارسي على مجيء أجراح ببيت أنشده أبو زيد لعبدةَ بن الطيب يصِفُ ثورًا وكلابًا:

ولَّــي وصُــرِّعْنَ مِــنْ حيــثُ التَبَــسْن بِــه

مُجَرَّحــــــاتٌ بـــــأجراحٍ ومقتـــــولُ

ثمّ يحتج أبو علي لسيبويه بأن لعلّه أراد أنّه جاء في الشعر دون النثر، ويقول أبو علي: "ويجوز أن يكون على قول سيبويه أنّ (أجْراحا) جاء في الشعر للضّرورة، ولم يستعمل في الكلام كما جاء فيه (ضَللُوا) ونحوه من المرفوض في المنثور."[١]

رأي ابن جني:

فإذا تتبعنا منهج أبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) نجده يجعل خروج الجمع عن القياس من باب التداخل، يقول: "وقد تتداخل أيضًا جموع الثلاثي من حيثُ كان هذا العدد منتظما لجميعها، وذلك نحو فَرْخ وأفْرَاخ، وزِنْد وأزناد، وجَبَل وأجْبُل."[٢]

يقصد ابن جنّي بـ(التداخل) أنّ أبنية جموع القلّة تتبادل مواقعها من حيث إنّها جميعًا تدلُّ على أدنى العدد.

فانظر إلى مرونة هذا المعيار اللُّغوي. ليس هذا فحسب بل نجده

---

(١) «كتاب التكملة» ص٤١١.

(٢) «اللمع في اللغة» لابن جني ص٢٤٨، تحقيق أ.د. حسين محمد شرف، عالم الكتب. ط أولى ١٣٩٩- ١٩٧٩.

يجعل تعدُّد الجموع لبناء واحد من باب التوسُّع في اللغة يقول: "وقد اتّسع في (فُعَل) فجُمع على (فِعْلان) نحو: نُغَر ونِغْران وجُرَذ وجِرْذان..."[١].

لكن يقابلنا نصٌّ لابن جنّي في آخر باب الجمع يقول فيه: "وقد شذّتْ ألفاظ من الجمع عن القياس..."[٢] وقد أشار المحقّق إلى أنّ هذه الجملة وردت في نسخة من النسخ "... على غير قياس".

فإن صحّ هذا النصّ ولم يكن فيه تحريف أو تصحيف، فيكون أولَ نصٍّ أقابله تطلق فيه لفظة (شاذ) على ما خرج من هذا الباب عن القياس.

ويعرّف ابن جنّي المطّرد والشاذ فيقول: "... فجعل أهل علم العرب ما استمرّ من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصّنعة مطّردا، وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذا"[٣]

وابن جنّي يستصحب السماع فيما شذّ عن القياس قال: "واعلم أنّ الشيء إذا اطّرد في الاستعمال وشذّ عن القياس، فلا بُدّ من اتّباع السمع الوارد به فيه نفسه لكنّه لا يُتَّخَذَ أصلاً يقاس عليه غيره."[٤]

---

(١) «اللمع» لابن جني ص٢٤٧ و(نغر) نوع من العصافير وقيل البلبل. انظر «اللسان»: [نغر].

(٢) «اللمع» لابن جني ص٢٥٥.

(٣) «الخصائص» لابن جني ٩٧/١، تحقيق محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، و«الاقتراح في علم أصول النحو» لجلال الدين السيوطي ص٥٨، تحقيق د. أحمد محمد قاسم. ط الأولى القاهرة ١٣٩٦- ١٩٧٦.

(٤) «الخصائص» ٩٩/١.

ويتغير منهج من جاء بعد ابن جنّي من الصرفين في التعامل مع جموع التكسير التي على غير القياس. فمن اللغويين من يصفها بالشذوذ أو الندرة متجاهلين أنَّ كلَّ ما جمعه دارسو اللغة من جموع وليد اللسان العربي، ووليد مخاض حركة اللغة.

رأي الزمخشري:

فالزمخشري/ محمد بن عمر (٤٦٧- ٥٣٨) يجعله من باب الشاذ، يقول: "وامتنعوا فيما اعتلت عينة من (أفْعُل)، وقد شذّ أقواس وأثور وأعْيُنِ وأَنْيب"[١]، وقد حمله سيبويه وأبو علي الفارسي على (فَعْل) صحيح العين.[٢]

يقول الزمخشري فيما كان من الأسماء مؤنثا ثلاثيا مزيدا بحرف مدّ قبل آخره: "ولا يُجمع على (أفْعُل) إلاّ المؤنّث خاصة، نحو: عناق وأَعنُق وعقاب وأَعْقُب وذراع وأذْرُع، وأمكُن من الشواذ"[٣]، لأن مكانا مذكّر.

رأي ابن يعيش:

أمّا منهج موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ) فكان أكثر توفيقا من منهج الزمخشري، يقترب ابن يعيش بمنهجه أحيانا من منهج سيبويه فيحمل غير المقيس على أصل الباب، أو يحمل على نظيره، ثم

---

(١) «شرح المفصّل» لموفق الدين يعيش بن على بن يعيش ٣٤/٥، عالم الكتب بيروت.

(٢) انظر ص من هذا البحث.

(٣) «شرح المفصّل» ٤٠/٥

ينحو نحو صاحب الكتاب الذي يشرحه فيصف الأبنية بالشّاذ.

يقول ابن يعيش فيما كان من الأسماء ثلاثيا مزيدا بحرف مدّ قبل الآخر ويجمع للكثرة على (فُعُل) و(فُعْلان) مثل قُضِيب وقُضُب وقُضْبان، ورَغيف ورُغُف ورُغْفان. " وماعدا ذلك فشاذ يسمع ولا يقاس عليه. وقالوا: نصيب وأنصاب وخميس وأخمساء فجمعوا على (أفعلاء) كأنهم شبهوه بالصفة حيث قالوا: شقي وأشقياء، ونقي وأنقياء؛ لأنّهم يجمعون عليه ما كان معتلا أو مضعَّفا"[١]

وسأعرض فيما يلي نصّا لسيبويه يعقبه نصّ لابن يعيش يرسم النّصّان صورة واضحة للفرق بين منهج العالمين.

فقياس (فَعْل) وصفا يُكسَّر للكثرة على (فِعَال)، مثل: صَعْب وصِعَاب. ويذكر سيبويه أنّ من العرب من عامله معاملة الأسماء فكسّره على (أفْعُل)، قال: "وقد كسروا ما استُعمل منه استعمال الأسماء على (أفْعُل)، وذلك: عَبْدٌ وأعْبُدٌ"[٢]، ثم يذكر سيبويه أنّهم حملوه على أبنية الأسماء فجاء على (أفْعَال) و(فُعِلان)- بضم الفاء وكسرها- و(فعول)، يقول: "... والشّيخ نحوٌ من ذلك، قالوا: أشياخ كما قالوا أبيات، وقالوا: شِيخان وشِيخَة، ومثله ضَيْف وضِيفان، مثل رأل ورِئْلان، وقالوا: ضيف وضيوف، وقالوا: وغْدٌ وَوُغْدان.... ومع ذا[٣]، إنّهم ربّما كسّروا الصِّفة كما يكسّرون

(١) «شرح المفصل» ٤٢/٥.

(٢) «الكتاب» لسيبويه ٦٢٨/٣.

(٣) هكذا وردت في متن كلام سيبويه، وأرى أنّ الصحيح (ومعنى ذا).

الأسماء"[١]

هكذا يحمل سيبويه ما جاء على غير بابه من الوصف يحمله على المقيس من أبنية الأسماء.

فإذا توجهنا إلى نصّ ابن يعيش وجدناه يذكر نفس الأبنية التي ذكرها سيبويه، ويحمل الصفة على الاسم يقول: "وذلك لأنّهم أجروها مجرى الأسماء..."[٢]

إلاّ أنّ ابن يعيش يختم كلامه بقوله: "فجاءت أمثلته على تسعة أبنية، منها بناء واحد مطّرد وهو (فِعال) والبواقي شاذّة تُسمعُ ولا يُقاس عليها."[٣]

رأي ابن الحاجب:

وابن الحاجب/ عثمان بن عمر بن أبي بكر يتلخص منهجه في أنه "يذكر أولا الغالب فى الاستعمال، ويذكر بعد ذلك غير الغالب الذي هو كالشاذ"[٤]

أي أنّ ابن الحاجب يبدأ بذكر الأبنية المقيسية ثم يتبعها بغير المقيسة. وهو يجمل القاعدة إجمالاً، لا يذكر تفاصيلها يقول: "الجمع الثلاثي

---

(١) «الكتاب» ٦٢٨/٣.

(٢) «شرح المفصل» ٢٥/٥.

(٣) «شرح المفصل» ٢٥/٥

(٤) «شرح شافية ابن الحاجب» لمحمد بن الحسن الاستراباذي٨٩/٢، دار الفكر العربي بيروت لبنان ط ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

الغالب في نحو فَلْس على أَفْلُسٍ وفُلُوس. وبابُ ثوبٍ على أثواب، وجاء زِنَادٌ في غير باب سَيْل، ورِئلانٌ وبُطنانٌ وغِردة وسُقُفٌ وأنجده شاذ"[١]، فيذكر في هذا النص جموع القلة والكثرة لـ(فَعْل) صحيح الفاء والعين أو معتل العين بالواو. ولن أتوقف كثيرا عند ابن الحاجب إذ إن شارح كتابه يحتاج إلى وقفة.

فإذا انتقلنا إلى الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (٦٨٨هـ) شارح الشافية، وجدناه يجعل ما خرج من أبنية جموع التكسير عن القياس من باب الشاذ، على الرّغم من أنّه لم يهمل قيمة كثرة الاستعمال وكونها مدعاة للتوسُّع اللُّغوي. يقول الاستراباذي: "فلزوم (فَعَل) مفتوح العين (أَفْعال) أكثر من لزوم (فَعْل) ساكن العين لـ(أفْعُل)؛ وذلك لخفّة (فَعْل) وكثرته، فتوسعوا فيه أكثر من توسُّعهم في (فَعَل) ولذلك كان الشاذ في جمع (فَعَل) مفتوح العين أقلّ من الشاذ في جمع (فَعْل) ساكنة."[٢]

فأن يجعل الاستراباذي كثرة الاستعمال مدعاة للتوسُّع اللغوي فهذا أمرٌ يتفق مع المنهج اللُّغويّ السليم. أمّا أن يجعل التوسُّع في الاستعمال مدعاة للتوسع في مجيء الشاذ، فهذا ما يؤخذ على الاستراباذي في هذا النّص، إذ إنّه مقياس لغويّ مقلوب إذا قسناه بمقياس أبي على الفارس الذي يرى أنّ التوسُّع في الاستعمال رخصة لتوسيع ينبوع ومجرى اللُّغة، دون أن يُدخل المتوسَّع فيه في مجال الشاذ.[٣]

---

(١) «شرح شافية ابن الحاجب» ٨٩/٢.

(٢) «شرح شافية ابن الحاجب» ٩٧/٢، ٩٨.

(٣) انظر: ص من هذا البحث.

بل إنّ الاستراباذي ينسب إلى سيبويه أنّه جعل من باب الشاذ جمع ما كان من (فَعَل) معتلّ الوسط مؤنثا بغير تاء على (أفْعُل) وهذا خلاف ما قاله سيبويه، وسأعرض نصّ الاستراباذي ثمّ نصّ سيبويه ليتضح الأمر.

قال الاستراباذي: "قال يونس: إذا كان (فَعَل) مؤنثا بغير تاء فجمعه على (أفْعُل) هو القياس... قال سيبويه بل (أفعُل) فيه شاذ، وإن كان مؤنّثا. ولو كان قياسا لما قيل: رحي وأرحاء، وقَدَم وأقدام، وغَنَم وأغنام"[١]

ونصّ سيبويه على خلاف ما ذكره الاستراباذي. يقول سيبويه: "ما كان مؤنثا من (فَعَل) من هذا الباب فإنّه يكسّر على (أفْعُل) إذا أردت بناء أدنى العدد، وذلك: دارٌ وأدْوُرٌ، وساقٌ وأسْوُقٌ، ونارٌ وأنْوُرٌ هذا قول يونس. ونظنُّهُ إنّما جاء على نظائره في الكلام نحو: جَمَل وأجْمُل وزَمَنٌ وأزْمُن وعصا وأعْصٍ. فلو كان هذا إنّما هو للتأنيث لَمَا قالوا: رحًى وأرْحاء، وفي قَفًا أقْفاء في قول مَنْ أنّث القَفَا، وفي قَدَم وأقْدام. ولَمَا قالوا: غَنَم وأغْنَام"[٢]

فسيبويه لا ينكر تكسير (فَعَل) المؤنث معتل الوسط على (أفْعُل) كما قال الاستراباذي، إنّما يحمله سيبويه على ما جاء من فَعَل الصحيح على أفْعُل ويعترض سيبويه على كلام يونس بن حبيب بأن بناء (أفْعُل) من (فَعَل) المعتل الوسط ليس خاصا بالمؤنث فقط بدليل قولهم رحًى وأرحاء.[٣]

---

(١) «شرح الشافية» ٢/٩٥، ٩٦.

(٢) «الكتاب» ٣/٥٩١.

(٣) فسّر الدكتور محمد صفوت مرسي كلام سيبويه في هذا الموضوع تفسيرًا جيدًا =

وثمة نص آخر لسيبويه في نفس هذه الأبنية، ربما يكون الاستراباذي ظنّ منه أنّ سيبويه يجعله من باب الشاذ يقول سيبويه: "وقالوا رحًى وأَرْحَاء، فلم يكسروها على غير ذلك كما لم يكسروا الأَرْسان والأقدام على غير ذلك، ولو فعلوا لكان قياسا، ولكنّني لم أسمعه"[١]

فسيبويه يريد في هذا النّص أن يذكر أنَّ هذه الألفاظ لم يرد منها جمع القلة إلا على (أفعال) ولو جاء على (أفْعُل) لكان قد أتى قياسا على أصل الباب.

ومما يؤيد أنّ هذا مراد سيبويه، أنّ النصّ السابق مباشرة على هذا النصّ يقول فيه سيبويه: "وربّما كسروا (فَعَلا) على (أفْعُل) كما كسّروا (فَعَلا) على (أَفْعَال) وذلك قولك: زَمَن وأَزْمُن. وبلغنا أنّ بعضهم يقول: جَبَل وأجْبُل"[٢]، ثم يقول: "وبنات الياء والواو تجري هذا المجرى..."[٣]

في كتابه «منهج سيبويه في جموع تكسير الأسماء» انظر ص٧٠، لكنّه لم ينبه على خطأ ما نسبه الاستراباذي لسيبويه، بل يقول محمد صفوت "والملاحظ أنّ الشافية بشرحها ملتزمة بما صَرح به صاحب الكتاب. والجديد فيها التنصيص على أنّ (فعال) لم يأت في الأجوف، وقد أثبته سيبويه وحكم عليه بالقلة." ص١٣٤ بل يقول في مقدمة كتابه: "... خلال قراءتي لكتاب سيبويه في شرح الشافية فإذا به يسير على طريقته في المنهج والتمثيل إلا مخالفة يسيرة لا يعتدُّ بها وتُعدّ على الشافية وليس لها." ص٤.

(١) «الكتاب» ٣/٥٧٢.

(٢) «الكتاب» ٣/٥٧١.

(٣) «الكتاب» ٣/٥٧١.

فانظر إلى المقياس اللغوي الذي يقيس على أصل الباب، ويوسع روافد اللغة، ويعتبر للسماع.

ويمكن أن يكون مقصد سيبويه أنّه قد استغنى بجمع القلة لهذه الألفاظ عن جمع الكثرة، فهكذا فسر أبو علي الفارسي مثل هذا الموضع، قال في (فَعَل): "وكسروه في الكثير على فِعْلان نحو: تيجان وجِيران... وقد يستغني بـ(أفعال) في هذا الباب فلا يجاوزونه، كما لم يجاوزه في الأرْسَان والأقدام، وهو في هذا أكثر لتحرُّك حرف العلّة بالفتح."[١]

فإذا رجعنا لمنهج الاستراباذي، وجدناه يجعل (حِجْلى) جمع (حَجَل)[٢]، شاذًا، يقول: "وفِعلى كحِجْلى وهو شاذ لم يأت منه إلّا هذا. وقال الأصمعي بل هو لغة في الحَجَل. والصحيح أنّه جمع."[٣]

وأبو علي الفارسي لا يجعل (فِعْلى) في هذا شاذا، بل يقول: "وأمّا فِعْلَى الذي يكون جمعًا فما علمتُهُ جاء إلّا في حرفين، قالوا في جمع حَجَل حِجْلى، قال الشاعر:

ارحـــم أُصَـــيْبِيَتي الـــذين كـــأنّهم

حِجْلـــى تـــدرّج فـــي الـــشَّربّة وُقَّـــعُ

---

(١) «كتاب التكملة» لأبي علي الفارسي ص٤٠٦، تحقيق د. كاظم بحر المرجان الجمهورية العراقية. ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(٢) الحجل: طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى أيضًا الكروان. انظر: «اللسان»: [حجل].

(٣) «شرح الشافية» ٩٧/٢ وقد ذكر ابن يعيش مثل هذا لكن لم ينسبه للشذوذ بل قال: "فهو قليل لم يأت منه في الثلاثي إلّا هذا المثال." «شرح المفصّل» ٢٠/٥.

وقالوا في جمع ظِربان ظِرْبَى."[١]

ولا يمتنع عند الاستراباذي أن يحكم على الجمع بالشذوذ، ثمّ يحمله على المقيس من الباب، يقول في (فُعَل) من الأسماء الذي يجمع للكثرة على (فِعْلان) في القياس، مثل صُرَد صِرْدان، بأنْ خصّوه بهذا الجمع لأنّه اختصّ بنوع من الحيوانات فيقول على ما جاء منه على (أفعال) للقلّة و(فِعال) للكثرة: "وشذّ منه رُبَع وأرْباع ورِباع تشبيها بَجَمل وأجمال وجِمال؛ لأنه منه"[٢]

وسيبويه لا يجعل ذلك شاذا، إنّما يحمله على باب (فَعَل) أي أنّه عومل معاملة (فَعَل) قال: "وقد أجرت العرب شيئا منه مجرى (فَعَل) وهو قولهم: رُبع وأرباعٌ، ورُطبٌ وأرطابٌ كقولك جَمَلٌ وأَجْمالٌ"[٣]

هكذا كان منهج المتقدمين من اللغويين، يحملون على أصل الباب، ويقيسون على النظير، ويعتدّون للسماع فيما جاء نادرا أو على غير القياس، وانتهج المتأخرون نهج الأولين إلا أنهم حالفوهم في النقطة الأخيرة، إذ لم يوظفوا ما نَدَر من السماع أو خرج عن القياس كجزء من نسيج اللغة بقي على الألسنة، يفرض نفسه على القاموس اللّغوي، بل على الواقع اللغوي، لكن وصفوه بالشاذ، وما هو إلّا لهجة أو صورة من

---

(١) «كتاب التكملة» ص٣١٩ والبيت منسوب في «شرح شواهد الإيضاح» ص٥٤٦ لعبد الله بن الحجّاج الثعلبي

(٢) «شرح الشافية» ٢/٩٩.

(٣) «الكتاب» ٣/٥٧٤.

صور تصرّف العربي في لغته كما سيتّضح في النقطة الأخيرة من هذا البحث.[١]

فمثلا كلمة (حوائج) جمع (حاجة) فرضت نفسها على القاموس اللغوي والواقع اللغوي. فكيف كان موقعها من القياس عند اللغويين: فسيبويه وأبو علي الفارسي لم يذكرا (فواعل) جمع كثرة لـ(فَعَلة) إنما يجمع عندهما على (فِعال) و(فِعَل) مثل ضيعة وضياع وضِيع. وزاد سيبويه (فُعْل) مثل نوق ويُذْن.[٢]

فيكون جمع حاجة للكثرة (حِوَج) وزاد أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان (٢٥٠هـ) وأبو على الفارسي (فَعَلا) (حَاجًا)[٣]

ويقول المبرد في (حوائج) "... فأمّا قولهم في جمع (حاجة) (حوائج)، فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولدين"[٤]

وكذلك أنكرها الأصمعي ويقول تلميذه أبو حاتم السجستاني: "قالوا حاجة وحوائج؛ لأنّها من بنات الواو ولا يكاد أحدٌ يقول حوائج. إنّما يقال

---

(١) انظر ص ٣٩ من هذا البحث

(٢) «الكتاب» لسيبويه ٣/٥٩٤ و«كتاب التكملة» ص٤٢٣.

(٣) انظر «الأضداد» لأبي حاتم السجستاني ص٧٩، (ضمن: ثلاثة كتب في الأضداد) نشرها د. أوغست هفنر دار الكتب العلمية بيروت ١٩١٢، و«كتاب التكملة» ص٤٢٣.

(٤) «المزهر في اللغة» لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي١/٣٠٧، تحقيق محمد أحمد جاد المولي. علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط عيس البابي الحلبي.

حاجات وحاجٌ، ولم أسمع حوائج إلا في قول الطُّهَوِيّ:

على الأمير فَقَضي حَوَائِجي"[١]

يقول ابن جني: "وقد شذّتْ ألفاظ من الجمع عن القياس قالوا: لَيْلة وليالٍ، وشبه ومشابه وحاجة وحوائج..."[٢]

ويقول ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧) "وتقول: لي حاجات. والعامّة تقول: حوائج. قال العسكري: وليس مما تعرفه العرب ولا يوجبه القياس. وإنّما تجمع العرب الحاجة فتقول: حَاجٌ وحاجات وحِوَج"[٣]

فإذا انتقلنا إلى واقع اللغة وجدناها قد وردت في كلام رسول الله ﷺ وفي كلام فصحاء العرب: ففي حديث عائشة – رضي الله عنها- قالت. قال رسول الله ﷺ: «**قَدْ أَذِنَ اللَّهُ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ**»[٤].

---

(١) «**الأضداد**» لأبي حاتم ص٧٩.

(٢) «**اللمع في العربية**» لابن جني ص٢٥٥.

(٣) «**تقويم اللسان**» لابن الجوزي ص٩٨، تحقيق د. عبد العزيز مطر دار المعارف ط الثانية.

(٤) [متفق عليه] رواه البخاري في «**صحيحه**» كتاب النكاح، باب خروج النساء لحوائجهن، برقم [٥٢٣٧]، ومسلم في «**صحيحه**» كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، برقم [٢١٧٠].
وقد ذكر ابن منظور حديثين لم أستطع توثيقهما من الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي؛ إذ لم يردا في هذه المصادر، قوله-ﷺ-" إنّ لله عبادا خلقهم لحوائج الناس يفزعُ النّاس إليهم في حوائجهم أولئك =

وقال الأعشى (٧هـ- ٦٢٩م):

النّـــــاسُ حـــــول قبابـــــةٍ

أهـــــلُ الحـــــوائج والمـــــسائِلُ[١]

وقال الشاعر المخضرم الشمّاخ بن ضرار الذبياني (٢٢هـ)

تقطّـــــع بينـــــا الحاجـــــات إلا

حَـــوائجَ يَعْتَـــسِفْنَ مـــع الجَـــرِئ[٢]

وقال الشاعر الأموي الفرزدق/ هَمام بن غالب بن صعصعة:

وَلـــي بـــبلادِ الهِنْـــدِ عنـــد أميرِهـــا

حـــوائجُ جَمّـــاتٌ وعنْـــدِي ثَوَابُهـــا[٣]

=

الآمنون يوم القيامة." وقوله-ﷺ- "استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها" اللسان (حوج).

(١) من قصيدة له يمدح فيها مسروق بن وائل. «ديوان الأعشى» ص١٥٥.

(٢) «ديوان الشمّاخ» ص٤٦٣ و«اللسان» (حوج).

(٣) «ديوان الفرزدق» ١/١٤٤ وفي «اللسان» (حوج): ببلاد السِّند.

ثانيًا مستويات جموع التكسير في القرآن الكريم

تمثّلت في القرآن الكريم مختلف مستويات جموع التكسير، المقيس منها، والمسموع غير المقيس، وجموع لم يقرّها علماء اللغة. وجموع قلّة تبادلت مواقعها مع نظائرها من جموع القلة، وجموع كثرة تقع موقع جموع القلة.

ولو أنّ واضعي مقاييس هذا الباب تمثّلوا موقف ابن مالك/ جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي (٦٧٢هـ) مما ورد في القرآن من جموع غير مقيسة "ولكن لا عدول عن الاتّباع عند صحّة السامع"[١]، لكان لهم موقف آخر من مقاييس هذا الباب؛ إذ إنّ "الحقيقة البارزة في أي بحث فيها على أي مستوى من مستوياتها، وبخاصة مستوى التركيب، هو التحامهما التحامًا يكاد يكون عضويًا بالنّص القرآني"[٢]، "ومن هنا فإنّ نقطة البدء في الدرس اللغوي للعربية الفصحى تختلف- أو يجب أن تختلف- عن نقطة البدء في دراسة أيّة لغة أخرى."[٣]

وسأعرض نماذج من مستويات جموع التكسير غير المقيسة في القرآن الكريم ليتّضح قصور القاعدة عن استيعاب مبانيه.

---

(١) «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» لابن مالك ص٩٠.

(٢) «تقويم الفكر النحوي» أ. د. علي أبو المكارم ص١٥١.

(٣) «تقويم الفكر النحوي» أ. د. علي أبو المكارم ص١٥١.

أ. المسموع غير المقيس

- بدنة وبُدْن:

لم يأت القرآن الكريم إلّا بـ(بُدْن) جمع (بَدَنة) قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾(الحج: ٣٦)

و(فَعَلة) تكسّر لأكثر العدد على (فِعال) مثل رقبة رِقاب، قال تعالى: ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾(البقرة: ١٧٧)، وكُسّر على (فُعْل) قال سيبويه: "ونظيرهن من غير المعتلّ: بَدَنةٌ وبُدْنٌ، وخشبةٌ وخُشْبٌ، وأكَمَةٌ وأُكْمٌ. وليس بالأصل في فَعَلة وإن وَجَدْتَ النظائر."[١]

وقال الاستراباذي: "وجاء على (فُعْل) كـ(بُدْن) وخُشب ونُوق ولُوب وشوخ، وليس بالكثير."[٢]

وجاءت (بُدْن) فيما صحَّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَتَلْتُ قَلَائِدَ بُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ بِيَدَيَّ ثُمَّ قَلَّدَهَا وَأَشْعَرَهَا وَأَهْدَاهَا، فَمَا حَرُمَ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ أُحِلَّ لَهُ[٣]، وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتِهَا، وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجَزَّارَ[٤].

---

(١) «الكتاب» ٣/٥٩٤ وانظر «كتاب التكملة» ص٤١٦.

(٢) «شرح الشافية» ٢/١٠٧.

(٣) [متفق عليه] رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الحج، باب من أشعر وقلد بذي الحليفة ثم أحرم، برقم [١٦٩٦]، ومسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم...، برقم [١٣٢١].

(٤) [متفق عليه] رواه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب في الصدقة =

- قرية وقُرَى:

لم يرد في القرآن الكريم جمع لقرية إلا قُرَى، قال تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(الأنعام: ٩٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦،) وقوله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾(الحشر: ١٤).

وقياس جمع (فَعْلة) صحيح أو غير صحيح على (فِعال) كقصعة وقصاع. وجاء على (فِعَل) كهضبة وهِضَب. وجاء فُعُول مثل بَدْرة وبُدُور. والأجوف الواوي منه يجمع على فُعَل كدولة ودُوَل.

ويجعل سيبويه تكسيرها على فُعَل مما حُمل على بناء غيره، قال: "وقد قالوا (فَعْلَةٌ) في بنات الواو وكسّروها على (فُعَل) كما كسّروا (فَعْلا) على بناء غيره..."[1]، وكذلك جعلها أبو علي الفارسي.[2]

لكن الاستراباذي يجعل مجيء (فُعَل) جمعًا للناقص من (فَعْلة) شاذا مثل قرية وقُرَىً إذ إنّه محمول في ذلك على (فُعْله) بضم الفاء مثل بُرْقة وبُرَق.[3]

=

بلحوم الهدي وجلودها وجلالها، برقم [١٣١٧] واللفظ له، والبخاري في «صحيحه» كتاب الحج، باب الجلال للبدن، برقم [١٧٠٧].

(١) «الكتاب» ٣/٥٩٣.

(٢) انظر: «كتاب التكملة» ص٤١٥.

(٣) انظر: «شرح الشافية» ٢/١٠٢.

- نِعْمة ونِعَم وأَنْعُم:

تكسّر نِعْمة للكثرة على فِعَل قياسًا فيقال نِعَم، وتكسر على أفْعُل أَنْعُم. وقد ورد الجمعان في القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(لقمان: ٢٠)[١] قال تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾(النحل: ١١٢).

ويقول سيبويه في (أَنْعُمٍ) "وقد كُسّر فِعْلَة على (أفْعُل) وذلك قليل عزيز ليس بالأصل. قالوا: نِعمة وأنْعُمٌ."[٢]

وجعل المبرد (أَنْعُما) جمعَ (نُعْم) ليكون على القياس.[٣]

وهكذا لم يتّخذ اللغويون أبنية الذكر الحكيم مقياسا تقاس به مستويات اللغة إنّما صنعوا عكس ذلك.

ب. مما لم يقره علماء اللغة من الجموع:

- صاحب وأصحاب

يذكر اللغويون أنّ (صاحبا) جمعها (صَحْب) مثل راكب وركب[٤]،

---

(١) (نِعَمه) قراءة أبي عمرو ونافع وحفص انظر: «معاني القرآن» للفّراء ٣٢٩/٢ و«الكشف عن وجوه القراءات» ١٨٩/٢.

(٢) «الكتاب» ٥٨١/٣، ٥٨٢.

(٣) انظر: «شرح الشافية» ١٠٤/٢.

(٤) انظر: «ديوان الأدب» لإسحاق بن إبراهيم الفارابي ١٦/٢، و«دقائق التصريف» لقاسم بن محمد بن سعيد المؤدِّب ص٧٠، و«شرح الفصيح» للزمخشري ٦٣٨/٢، و«اللسان» (صحب). وقد ذكرت الدكتورة وسيمة المنصور في بحثها =

وتجمع أيضًا على (صُحْبان) مثل راكب ورُكْبان.[١]

أمّا صَحَابة- بفتح الصاد- فذهب أبو علي الفارسي إلى أنّه اسم للجمع. وحكى كسر الصاد عن بعض البغداديين، وذكَرَ أنّ الأكثر فتح الصاد.[٢] ويجعل الفارابي إسحاق بن إبراهيم (٣٥٠هـ) والزمخشري (٥٣٨هـ) صَحَابَة مصدرا من صَحب يصْحَبُ[٣].

أمّا (أصحاب) فيعده اللغويون مما جاء على غير بناء واحده المستعمل؛ لأن (صاحبا) وصفٌ لا يجمع على (أفعال)، إنما استعمل استعمال الاسم فكُسر تكسير الأسماء.

ولم يأت فى التنزيل العزيز إلا (أصحاب) جمع (صاحب) لم يأت (صَحْب) ولا (صُحْبان): قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ (الكهف: ٩).

=

«صيغ الجموع في القرآن الكريم» أنّ صَحْبا مفردٌ جمعُهُ أصحاب، قالت: "وفَعْل يجمع على أفعال نحو: صَحْب وأصحاب" ٢٢٧/١ على الرغم من أنّها ذكرت في موضع آخر أن أصحابًا جمع صاحب. انظر ٢٢٣/١من كتابها.

(١) انظر: «الكتاب» ٦١٤/٣، و«كتاب التكملة» ص٤٤٤، و«شرح الفصيح» للزمخشري ٦٣٨/٢، و«شرح المفضل» ٥٥/٥.

(٢) انظر: «كتاب التكملة» ص٤٤٤.

(٣) انظر: «ديوان الأدب» لإسحاق بن إبراهيم الفارابي ٣٨٤/١، تحقيق أ. د. أحمد مختار عمر مراجعة إبراهيم أنيس مجمع اللغة العربية القاهرة ١٣٩٥- ١٩٧٥. و«شرح الفصيح» للزمخشري ٦٣٨/٢.

وقوله تعالي: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الأحقاف: ١٤)

ويطّرد (أصحاب) على مستوى الأداء القرآني كلّه.

وقد ورد أصحاب في الحديث القدسي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي. فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»[1]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[2].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي

---

(١) [متفق عليه] رواه البخاري في «صحيحه» كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا}، برقم [٣٣٤٩]، ومسلم في «صحيحه» كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم [٢٨٦٠]، وانظر: «الأحاديث القدسية» ص٤٤٠/ ٤٤١.

(٢) [متفق عليه] رواه البخاري في «صحيح» كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت...» برقم [٣٦٧٣]، ومسلم في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم [٢٥٤١].

مَا يُوعَدُونَ»[1].

وورد(أصحابي) فى شعر فصحاء العرب. قال الشاعر المخضرم دريد بن الصِّمَّة:

نــصحتُ لعــارِضٍ وأصــحابِ عــارضٍ

ورهْــط بنــى الــسَّوْداءِ والقــومُ شُــهَّدِي[2]

وقال رجلٌ من بنى نصر بن قُعَيْن:[3]

بأَشَــــدّهم كَلَبًــــا علــــى أعــــدائهمْ

وأعَــــزّهِم فقْــــداً علــــى الأصــــحابِ

ج. تبادل جموع القلة مواقعها:

- يمين وأيمن وأيمان

لفظ(يمين) جاء فى القرآن الكريم فى ثلاثة معانٍ[4]، فجاءت فى معنى الجارحة اليمنى، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾(طه: ٦٩)

---

(١) [صحيح] رواه مسلم في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ...، برقم [٢٥٣١].

(٢) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٨١٢/٢، نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشرة القاهرة.

(٣) ذكر محقق «شرح الحماسة» أنه ربيعة بن عبيدة بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن معين «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٨٤٥/٢.

(٤) جعلتها الدكتورة وسيمة المنصور خمسة معان انظر: «صيغ جموع التكسير فى القرآن الكريم» ٢٠٩/١، ٢١٠.

وجاءت بمعنى الجهة اليمنى قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ (سبأ: ١٥،) وتأتى بمعنى العهد، قال تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ (الأحزاب: ٥٠،) و(يمين) تجمع على (أيْمُن)؛ إذ قياس الاسم الرباعي المؤنث معنى الذى قبل آخره حرف مدّ أن يجمع للقلة على (أفْعُل). وقد ذكر سيبويه أنّ (أيْمن) جمع(يمين) للقلة بمعنى الجارحة، قال:" وتقول فى الأماكن: سير عليه ذات اليمين وذات الشمال؛ لأنك تقول: دارُه ذات اليمين وذات الشمال... وتقول: سِيرَ عليه أيْمُنٌ وأشْمُلٌ "[1]

ويذكر سيبويه رجز أبي النجم العجلي:

يأتى لها مِنْ أيْمُنٍ وأشْمُلِ[2]

وأيْمُن وأشْمُل جمع يمين وشمال بمعنى الجارحة؛ إذ إن الظروف لا تجمع، قال عبد القادر بن عمر البغدادى (١٠٣٠- ١٠٩٣هـ)، وأورده سيبويه على أنّ الشاعر لمّا جرّ أيمنا وأشملا بمن، أخرجهما من الظرفية[3].

والنص القرآنى لم يأت بـ(أيْمُن) إنما أتى بـ(أيمان) قال تعالى: ﴿وَلَا

---

(١) «الكتاب» ٢٢١/١.

(٢)انظر: «الكتاب» ٢٢١/١، وذكره ابن جنى فى «الخصائص» ٦٨/٣ (يثري لها) وانظر: «أمالي بن الشجري» ٣٨/٢، تحقيق د. محمود محمد الطناحي مكتبة الخانجي القاهرة، و«اللسان» (يمن)، و«خزانة الأدب ولب لباب العرب» ٣٩١/٢.

(٣) «خزانة الأدب» ٤٠٠/٢.

﴿تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾(البقرة: ٢٢٤).

وقد دلّتْ (أيمان) فى كل المواضع على معنى العهد أو الحلف إلا فى موضعين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾(الأعراف: ١٧)وهذه الآية نصّ صريح فى أنّ(أيمان) يقصد بها ذات اليمين أى الجارحة، والموضع الثاني قال تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ (الحديد: ١٢،) و﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾(التحريم: ٨،) و(أيمان) فى هذه الآية يمكن أن تحتمل معنيين. معنى أيْمُن أى الجارحة، ومعنى أيمان بمعنى العهد أى أنّ نورهم يسعي بين أيديهم وبأيمانهم أى وبصدق عهدهم مع الله سبحانه وتعالي.

فإذا تجاوزنا هذين الموضعين، ونظرنا للمعنى المطّرد لأيمان فى القرآن الكريم على مدي سبعة وثلاثين موضعا، لاستطعنا أن نقول: إنّ القرآن خصّ (أيْمان) على (أفعال) بمعنى العهد أو الحلف، وحفظ العهد من الإيمان، و(إيمان) مصدر على (إفعال) و(أيمان) جمع على (أفعال)، وكأنّ القرآن الكريم زواج بين البناءين لما بينهما من علاقة الفرع بالأصل، إذ حفظ العهد من الإيمان.

ويؤيد ما ذهبت إليه قول الراغب الأصبهانى (٥٠٢هـ)" واليمين فى الحلف مستعار من اليد اعتبارا بما يفعله المعاهد والحالف وغيره"[(١)].

---

(١) «المفردات فى غريب القرآن» للراغب الأصبهاني حسين بن محمد ص٨٤٩، تحقيق د. محمد أحمد خلف الله. الأنجلو المصرية.

ويعتلُّ سيبويه لوقوع (أيمان) مكان (أيْمُن) أنّ كليهما جمع قلة، وأنّهما اشتركا فى جمع ما كان على ثلاثة أحرف، قال" وقالوا (أيْمان) فكسّروها على (أفعال) كما كسّروها على (أفْعُل)؛ إذ كانا لما عدده ثلاثة أحرف"[١]

وذكر أبو على الفارسي أيْمُن وأيمان ولم يعلق على الأخيرة[٢]

وجاء (أيمان) بمعنى الجارحة فى قول جعفر بن علبة الحارثي:

إذا مـــا ابتّـــدرْنا مأزِقـــا فَرَحَـــتْ لَنَـــا

بأيمانِنـــا بـــيضٌ جَلَتْهـــا الـــصّياقلُ[٣]

- أحْمُل وأَحمَال

حَمْل: ما حواه رحم المرأة، قال تعالى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ (الحج: ٢)وجمعه: أحْمُل قياسا. وحِمْل: ما يُحمل من الأشياء وجمعه أَحْمَال قياسا، وقد استعير(أحمال) لـ(حَمْل) فى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٤).

وأري أن إيثار النصّ القرآنى لأحمال دون (أحْمُل) له مردود فى الدلالة إذ إنّ الحَمْل حِمْلٌ تحمله المرأة فاستعير (أحْمَال) لاصطحاب

---

(١) «الكتاب» ٦٠٧/٣، وقد ذكر الاستراباذي مثلما ذكر سيبويه، «شرح الشافية» ١٣١/٢.

(٢) «كتاب التكملة» ص٤٤١.

(٣) «شرح ديوان الحماسة» للمراوني ٤٨/١.

القرينة الحالية لما عليه المرأة وما تعانيه من تبعات هذا الحَمْل.

د- وقوع جمع الكثرة مكان جمع القلة:

- أقراء وقُرُوء:

قرء تجمع للقلة على أفعال: أقراء، وللكثرة على فُعُول: قُرُوء، وقد وقع جمع الكثرة موقع جمع القّلة فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾(البقرة: ٢٢٨).

يقول ابن مالك" فأضيف ثلاثة إلي قروء وهو جمع كثرة مع ثبوت (أقراء) وهو جمع قلّة، ولكن لا عدول عن الاتّباع عند صحّة السماع"[1]

وأرى أنّ جمع الكثرة استعير لدلالة معنوية، إذ إنّ المطلّقة فى أغلب الأحايين متضررة، تنتظر سقوط الضّرر بانتهاء العدّة، فيأتى جمع الكثرة ليوحي بثقل وطول المدّة على الملهوف صاحب الحاجة.

(١) «شواهد التوضيح والتصحيح» ص٩٠.

ثالثا: مستويات جموع التكسير على لسان الناطق العربي

يتضمن هذا المستوى نقطتين توضحان موقف الناطق العربي مما يجري على الألسنة، المقيس منها وغير المقيس.

أ. المرونة اللُّغوية على لسان العربي:

ثمّة نصوص لغوية من النثر والشعر تلتقط صورة من صور تصرف العربي فى لغته، وهذه الصورة بدورها توضّح جانبا من جوانب تطوّر اللغة على ألسنة الناطقين، وتكشف روافد مجيء غير المقيس من الأبنية فى اللُّغة، وبالأحرى أقول الأبنية غير المطّردة.

فقد يأتى العربي ببناء غير مقيس فى كلامه لمناسبة بناء مقيس مذكور فى سياق الكلام، وذلك (أبوية) فى قول تميم بن مقبل:

هتـــــاكَ أَخْبِيـــــةٍ ولاّج أبْوبـــــه

يخلـــطُ بالجِـــدِّ منـــه البـــرَّ واللِّيِّنـــا

يقول ابن الشجري" جَمَع الباب على (أبوبة) لمكان (أخبية)، ولو أفردَ لم يقل(أبوبه) [1]

يقصد بـ"أفرد" أن لو جاء بالجمع منفردا في غير الشعر لجاء به على القياس فيقال أبواب.

وكذلك جمع(نادي) و(واهي) على أفعلة لمناسبة (ألوية)، فى قول

---

(١) «أمالي ابن الشجري» ١/٣٧٨.

الشاعرة الجاهلية فارعة بنت شدّاد المُرّية ترثي أخاها مسعود بن شدّاد[١]:

رفّـــاعُ ألويـــة شـــهّادُ أنديـــةٍ
ســـدّادُ أوْهيـــةٍ فتّـــاحُ أســـدادِ
قـــوّال مُحكمـــةٍ نقـــاضُ مُبرمَـــةٍ
فـــرّاجُ مُبهَمـــةٍ طـــلاّعُ أنجـــادِ

يقول ابن الشجري معلقا على البيتين".... وليس حقّ فاعل أن يجمع على أفْعِلة، ولكنّها أتبعته (الألوية) و(الأندية) كما قالوا: إنى لآتيه بالغدايا والعشايا، والغداة لا تجمع على الغدايا، وإنما أتبعوها (العشايا)، فإذا أفردوا لم يقولوا: غدايا.[٢]

وجاءت الشاعرة أيضا بـ(أنجاد) حملا على (أسداد) وقياسه(أنْجُد) فهذا النص لا يدع مجالا للقول بأنّ العربي استعمل الجمع غير المقيس من أجل المحافظة على الوزن العروضي؛ إذ استعمل العربي البناء غير المقيس فى منثور الكلام، فقد نطق العربي (الغدايا) لمناسبة العشايا.

وقد ورد مثل ذلك فى كلام خير الأنام ﷺ ففى حديث سؤال القبر: «وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ

(١) "الوَهْى: الشق فى الأديم وغيره، والواهي: المنشق" «أمالي ابن الشجري» ٣٧٧/١.

(٢) «أمالي ابن الشجري» ٣٧٧/١- ٣٧٨.

فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»[١].

فقد جاءت(تليت) بالياء ليعاقب بها الياء فى (دريت) وأصل (تليت) تلوت، يقال: تلوت الرجل أى تبعته أنا أتلوه تلوًا، وتلوت القرآن فأنا أتلوه تلاوة بكسر التاء.

أمّا (تلي) بالياء فيقال: تَلِيَتْ لي من حقّي تليَلة وتُلاوة- بضم التاء- أى بقيت بقية[٢]

وكما يغيّرُ العربي الحرف لمناسبة الحرف، فإن من منهاجه أيضا أن يغيّرَ الحركة لمناسبة الحركة المجاورة، قال سيبويه:" وأمّا الذين قالوا: مِغِيرةُ ومِعِينٌ، فليس على هذا، ولكنَّهم أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: مِنْتِن وأَنْبُؤُك وأجُوءك، يريد: أجِيئُك وأُنْبِئُك".[٣]

هذه النصوص تأخذنا إلي حقيقة أنّ معيار الأطراد والشذوذ كان يجب أن يرتبط بالعُرف اللُّغوى للجماعة اللُّغوية؛ ذلك لأنّ بعض هذه الأبنية يصور لهجات قبلية أو يصور تصرُّف العربي فى لغته لتحقيق المجانسة بين الحروف

---

(١) [متفق عليه] رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، برقم [١٣٣٨]، ومسلم في «صحيحه» كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، برقم [٢٨٧٠].

(٢) أنظر: «أدب الكاتب» لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، ص٣٣٥- ٣٣٦، تحقيق محمد الدّال. مؤسسة الرسالة. ط الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، و«اللسان» (تلا).

(٣) «الكتاب» ٤/١٠٩.

أو الحركات.

ويدخل هذا تحت معنى التوهم الذى أقرته لجنة القرارات فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو ما يعنى".. بأنّ التوهم تسجيل لظاهرة لغوية عومل فيها شيء معاملة آخر على سبيل الافتراض أو الاعتبار، لفائدة فى الدلالة وإن جاء مخالفا للقياس"[١].

" وأنّ جمعا من أقطاب النحاة خلال العصور رأوا فى البناء على التوهم سرّا من أسرار العربية".[٢]

ب. جموع التكسير بين الحقيقة والمجاز:

أدرك العربي بحسه اللغوىّ أن ثمة أبنية تخرج عن قياس ما يتكلم، فكان أكثر وعياً فى استعمالها، فنجده يأتى بالجمع غير المقيس للمعنى المجازى، مثل(أثوب) فى قول حمير بن ثور:

لكـــل دَهْـــرٍ قـــد لبـــستُ أثوُبـــا

حتـــى اكتـــسى الـــرأسُ قناعـــا أشـــيبا[٣]

فعبّر بـ(أثوب) عن تغيير الأحوال وتبدلها، وقياس (فعل) معتل الوسط(أفعال) فيقال ثوب وأثواب.

و(زنْد) يجمع قياسا على (أزْنُد) وقد جاء (أزناد) للمعنى المجازى فى

---

(١) «مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاما» ص٢٧، ١٩٣٤- ١٩٨٤ مجمع اللغة العربية القاهرة.

(٢) السابق والصفحة.

(٣) «الكتاب» ٥٨٨/٣، «المقتضب» للمبرد ١٩٧/٢.

قول الأعشي ميمون بن قيس:

وُجِـــدْتَ إذا اصـــطلحوا خَيـــرهم

وزنْـــدك أثقَـــبُ أزْنَادِهـــا[١]

يقصد بها كثرة خيره واتساع معروفه.

ويأتى للمعنى المجازى أفراخ جمع فرخ وقياسه أفْرُخ، قال الحطيئة:

مـــاذا تقـــولُ لأفـــراخٍ بـــذي مَـــرَخٍ

حُمْـــر الحواصـــل لا مـــاءٌ ولا شـــجرُ[٢]

يقصد بها أبناءه وبناته.

وقد تنبّه المبرد لما عُنيت به (أزناد) و(أفراخ) فى البيتين السابقتين وخروجها من معناها الحقيقي فقال:"... فمشبّه بغيره خارج عن بابه". [٣].

وقياس جمع(نجد) أنْجُد، وجاء أنجاد فى المعنى المجازى وذلك فى قول فارعة بنت شدّاد المُرّيّة.

قـــوّال محكمـــةٍ نقّـــاض مُبرمـــةٍ

فـــرّاج مبهمـــةٍ طـــلاّع أنجـــاد

---

(١) البيت من قصيدة طويلة يمدح فيها قيس بن معديكرب الكندى. «ديوان الأعشي» ص٦١، وانظر: «الكتاب» ٥٦٨/٣، و«المقتضب للمبرد» ١٩٤/٢، والزند والزندة: خشبتان يستقدح بهما، السفلي زندة والأعلى زنْد، والزند موصل طرف الذراع فى الكتف «اللسان» (زند).

(٢) «ديوان الحطيئة» ص١٦٤، و«المقتضب» للمبرد ١٩٣/٢.

(٣) «المقتضب» للمبرد ١٩٤/٢.

قصدت أنه يتصعدُ فى درجات المجد.

وقد يأتى الجمع المقيس للمعنى المجازى، ولكننى أردت أن أعرض جانبا من جوانب التصرف الاستعمالي على لسان العربي.

فالشاعر المخضرم دُرَيْد بن الصِّمَّة يأتى بـ(أنْجُد) للمعنى المجازى يقول:

كمـــيش الإزار خـــارجٌ نـــصف ســـاقهِ

بعيـــدٌ مـــن الآفـــات طـــلاّع أنْجُـــدِ[1]

قال المرزوقى فى معنى(أنجد) ومعنى طلاّع أنجد، أنّه مُصعّدٌ فى درج السموّ[2]

(وبَحْر) تجمع قياسا على (أبْحُر) وقد جاء للمعنى المجازى فى قول البحتري:

كـــانوا ثلاثـــة أبْحُـــرٍ أفـــضى بهـــا

ولـــعُ المنـــونِ إلـــي ثلاثـــة أقْبُـــرِ

كنى عنهم بالأبحر ليصور اتساع مناحي قدراتهم وعطائهم.

وثوب تجمع قياسا على أثواب، وقد جاء للمعنى المجازى فى قول شبيب بن عوانة وقد تحاكم مع ابن عمه عند مروان بن الحكم فحبس

---

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقى ٨١٨، والكميش والكمش الخفيف السريع الحركة كما فسّرها المرزوقى.

(٢) «ديوان الحماسة» للمرزوقى ٨١٩/٢.

مروان شبيبا فقال:

قـــضي بيننـــا مـــروانُ أمـــسِ قـــضيةً

فمـــا زادنـــا مـــروانُ إلا تنائيـــا

فلـــو كنـــتُ فـــي الأرض الفـــضاء لَعِفْتُهـــا

ولكـــن أتـــت أبوابـــه مـــن ورائيـــا[1]

قصد بـ(أبوابه) أى كنت تحت سلطان مروان بن الحكم.

(١) «شرح ديوان الحماسة» ١/٣٢٤، وقال المرزوقي فى شرحه" فلو كنت بالبدو لرددت حكومته وأبديت كراهتى لها ولكنى كنتُ أسيرا إذ كنت فى الحضر حاصلا فى داره، وداخلا تحت ملكه".

خاتمة ونتائج البحث

يمثّل هذا البحث وقفة تأمل لما نهجه علماء العربية فى دراسة هذا الباب المضنى من أبواب الصرف، فقد كان للمتقدمين منهم قدم صدق وأثارةٌ حسنة فى وضع أسس وبناء هذا الصّرح، ثم تناوله المتأخرون فشرّقوا فيه وغرّبوا تمهيدًا لمستعصيه واستنطاقا لما غمض منه.

لكنَّ المتقدمين من علماء العربية أمثال سيبويه والمبرد وابن السراج وأبي على الفارسي وابن جنى كانوا أكثر سعة أفق فى تقبل ما خرج من جموع التكسير عن الأقيسة التى وضعها الصرفيون إذ يتمثل منهجهم فى تحقيق هذه الجموع من مظانّها، ثم حملها على المقيس من أبنية الباب أو حملها على النظير، وبعضهم يعتلُّ للبناء غير المقيس بعلّة لغوية مثلما قال سيبويه فى جمع(فيل)على (أفيال). وبعضهم فتح باب القياس على القليل ووسع له بابا فى الضرورة الشعرية مثل المبرد، ونجده أيضا احتج بالقراءة القرآنية لما خرج عن القياس مثل احتجاجه لـ(سُقُف) بضم القاف، وابن السراج يحمل تكسير الصفات على الأسماء، فما لم يُسمع تكسيره من الصفات يحمله على الأسماء مطلقا إلا ما سمع منهم فيكسّر عليه. ونجد أبا على الفارسي يعزو تعدد الأبنية لأصل واحد لعامل لغويّ، يربط فيه كثرة الاستعمال بكثرة التصرف فى البناء، ويوسّع الوعاء اللغوى لاستيعاب ما جاء فى الشّعر ولم يرد فى النثر مما خرج عن القياس من أبنية الجموع، وابن جنى يجعل خروج الجمع عن القياس من باب التداخل، أى أنّ أبنية جموع القلّة تتبادل صورها على اللفظة من حيث إنهّا جميعها تدلّ على أدنى العدد. ويجعل تعدد الجموع لبناء واحد من باب

التوسّع فى اللغة ولا يهمل استصحاب السماع فيما خرج عن القياس.

ويتغير موقف المتأخرين مثل الزمخشري وابن يعيش وابن الحاجب والاستراباذى، إذ يحكمون على كل ما خرج عن القياس بالشاذ على الرغم من أنهم تأثروا بعبارات سيبويه مثل الحمل على النظير والحمل على أصل الباب إلا أنهم لم يعاملوا هذه الأبنية على أنها جزء من نسيج اللغة بل إننا نجد الاستراباذى يربط بين كثرة الاستعمال ومجي الشاذ من الأبنية على عكس ما ذهب إليه أبو على الفارسي الذى يرى التوسع فى الاستعمال رخصة لتوسيع ينبوع ومجري اللغة دون أن يُدخل المتوسَّع فيه فى مجال الشاذ.

هذا ما عالجته فى المستوى الأول وهو مستوى المقيس وما خرج عنه من هذا الباب.

والمستوى الثانى تناول مستويات جموع التكسير فى القرآن الكريم، فقد تمثلت فيه مختلف مستويات الجموع: المقيس منها، والمسموع غير المقيس مثل (بُدْن) جمع(بَدَنَة) ذكر اللغويون أنه على غير القياس ولم يأت النص القرآنى إلا به، وكذلك (قُرى) جمع قرية و(أنْعُم) جمع(نعمة) على غير القياس، وجاء فى القرآن ما لم يقره علماء اللغة من الجموع مثل (أصحاب) جمع صاحب، إذ جعله اللغويون مما جاء على غير بناء واحده المستعمل وأن القياس (صحْب) و(صُحبان)، ولم يأت فى القرآن الكريم إلا أصحاب وورد فى كلام رسول الله ﷺ، وورد فى أشعار فصحاء العرب، وتبادلت أبنية جموع القلة مواقعها فى القرآن الكريم، مثل(أيمان) جمع (يمين) بدلا من الجمع المقيس(أيْمُن) و(أحْمُال) فى موضع(أحمل)

جمع (حَمْل) ووقوع جمع الكثرة مكان جمع القلّة، مثل (قروء) مكان(أقراء) جمع(قُرْء).

والمستوى الثالث عالجت فيه جموع التكسير على لسان العربي وتضمّن هذا الموضع نقطتين. الأولى: المرونة اللغوية على لسان العربي أوضحت فيه كيف يأتي العربي ببناء غير مقيس في كلامه لمناسبة بناء مقيس مذكور في سياق الكلام، مثلما أتى الشاعر تميم بن مقبل (أبوبة) جمع (باب) قياسا على (أخبية) وأتت الشاعرة الجاهلية فارعة بنت شدّاد بـ(أندية) و(أوْهية) لمناسبة بناء (ألوية). وأنّ هذه الظاهرة ليست قاصرة على الشعر فقط بل جاءت في النثر مثلما جاء الناطق بـ(الغدايا) لمناسبة (العشايا). وجاء في كلام خير الأنام -ﷺ-: "لا دريت ولا تليت،." بدلا من (تلوت) لمناسبة (دريت). وظاهرة التجانس هذه ليست في بناء الألفاظ فقط بل اعتنى بها العربي في مناسبة الحركة لمجاورتها كما في كسر الميم من (مِغِيرة ومِعِين) لمناسبة كسر الغين والعين. وهذه الظاهرة أطلق عليها مجمع اللغة بالقاهرة: ظاهرة التوهم وأنها سرّ من أسرار العربية.

وهذه الظاهرة تصور بدورها جانبًا من جوانب تطوُّر اللغة على ألسنة النّاطقين، وتكشف روافد مجيء غير المقيس من الأبنية في اللُّغة.

والنقطة الثانية ناقشت فيها جموع التكسير بين الحقيقة والمجاز، وكيف أن العربي أدرك بحسه اللغوي أنَّ ثمّة أبنية تخرج عن قياس ما يتكلم به، فكان أكثر وعيا في استعمالها، فنجده يأتي بالجمع غير المقيس للمعنى المجازي فـ(أثوب) في شعر حمير بن ثور يعني بها تغيير الأحوال وتبدّلها، و(أزناد) في شعر الأعشى يقصد بها كثرة خير الممدوح واتساع

معروفة. و(أفراخ) في شعر الحطيئة يعني بها بناته وبنيه. و(أنجاد) في شعر فارعة المُرّيّة تقصد بها درجات المجد.

وقد يأتي الجمع المقيس للمعنى المجازي، لكنني أردت أن أعرض جانبا من جوانب التصرف الاستعمالى على لسان العربي.

نتائج البحث:

أ- يحتاج باب جموع التكسير إلى إعادة النظر في ضوابط بابه، بإعادة النظر في مبانية في القرآن الكريم وكلام فصحاء العرب؛ لإعادة تعديل ضوابط القاعدة بما يتناسب مع المطّرد منها، على غرار ما قام به مجمع اللغة العربية بالقاهرة- مشكورا- بجواز جمع (فَعْل) على أفعال في كل اسم ثلاثي[1]

ب- اختلف منهج وموقف اللغويين المتقدمين عن المتأخرين في معالجة هذا الباب، إذ كان المتقدمون أكثر ارتباطًا بالمنهج اللغوي الذي يَعْتَبِر للمسموع، ويحمله على أصل الباب أو يحمله على النظير.

ج- تمثلت في القرآن كل مستويات جموع التكسير المقيس منها وغير المقيس والمرفوض لغويّا.

د-تعدد جموع القلة أو الكثرة للفظ واحد يرجع إلى تعدد اللهجات في البيئات اللغوية، وإلى ظاهرة نحت الجموع، وأعني بها المرونة اللغوية على لسان العربي الذي يأتي بالجمع غير المقيس حملا على بناء

---

(١) «مجموعة القرارات العلمية في خمسين عام» ص٧٤.

جمع مقيس في سياق النصّ.

هـ- استخدام العربي ما خرج من الجموع غير المقيسة في المعنى المجازي يصور صورة من صور تصرف العربي في لغته.

المصادر والمراجع

- الأحاديث القدسية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط السادسة عشر القاهرة ١٤٢٣- ٢٠٠٢م.

- أدب الكاتب لعبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق محمد الدّال. مؤسسة الرسالة. ط الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- الأصول في النحو لمحمد بن سهل بن السراج تحقيق د. عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

- الأضداد لأبي حاتم السجستاني (ضمن: ثلاثة كتب في الأضداد) نشرها د. أوغت هفنر دار الكتب العلمية بيروت ١٩١٢.

- أمالي ابن الشجري هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة تحقيق د. محمود محمد الطناحي مكتبة الخانجي القاهرة.

- تقويم الفكر النحوي أ. د. علي أبو المكارم دار الثقافة بيروت لبنان

- تقويم اللسان لابن الجوزي تحقيق د. عبد العزيز مطر دار المعارف ط الثانية.

- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩.

- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار. دار الهدى للطباعة والنشر. بيروت لبنان.

- دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب. تحقيق د.

أحمد ناجي القيسي. د. حاتم صالح الضمان. د. حسين نورال. المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧.

- ديوان الأدب لإسحاق بن إبراهيم الفارابي تحقيق أ. د. أحمد مختار عمر مراجعة إبراهيم أنيس مجمع اللغة العربية القاهرة ١٣٩٥-١٩٧٥.

- ديوان الأعشي الكبير ميمون بن قيس. دار صادر. بيروت.

- ديوان الحطيئة برواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني. المؤسسة العربية للطباعة والنشر. بيروت لبنان.

- ديوان الشّمّاخ بن ضرار الذبياني. تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي. دار المعارف. سلسلة ذخائر العرب.

- شرح ديوان الحماسة لأحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشرة القاهرة.

- شرح ديوان الفرزدق. ضبط وشرح إيليا الحاوي. دار الكتاب اللبناني ط الأولي ١٩٨٣.

- شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الاستراباذي. دار الفكر العربي بيروت لبنان ط ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

- شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي تأليف عبد الله بن بَرّي تحقيق د. عيد مصطفى درويش. مراجعة د. محمد مهدي علام. ط مجمع اللغة العربية القاهرة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- شرح الفصيح لجار الله محمود بن عمر الزمخشري تحقيق د. إبراهيم بن عبد الله بن جمهورية الغامدي ط ١٤١٧م.

- شرح المفصل لموفق الذين يعيش بن علي بن يعيش. عالم الكتب. بيروت.

- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.

- صحيح البخاري تصنيف عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري إعداد د. محمد محمد تامر دار الآفاق العربية القاهرة.

- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

- صيغ جموع التكسير في القرآن الكريم. تأليف د. وسيمة عبد المحسن محمد المنصور. مكتبة الرُشد- الرياض ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

- الكتاب لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر. تحقيق عبد السلام هارون. الهيئة العامة للكتاب.

- كتاب الاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق د. أحمد محمد قاسم. ط الأولى القاهرة ١٣٩٦- ١٩٧٦.

- كتاب التكملة لأبي علي الفارسي تحقيق د. كاظم بحر المرجان الجمهورية العراقية. ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

- كتاب المقتضب لمحمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة ١٣٨٦هـ.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

- لسان العرب، لمحمد بن مكرم علي بن أحمد أبي القاسم بن حبقة بن منظور. دار المعارف.

- اللمع فى العربية لأبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق أ.د. حسين محمد شرف، عالم الكتب. ط أولى ١٣٩٩- ١٩٧٩.

- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ١٩٣٤- ١٩٨٤ مجمع اللغة العربية القاهرة.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أحمد جاد المولي. علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط عيس البابي الحلبي.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني حسين بن محمد. تحقيق د. محمد أحمد خلف الله. الأنجلو المصرية.

- معاني القرآن لأبي زكريا يحي بن زياد الفرّاء. تحقيق أ. محمد علي النجار. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. ط الثالثة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

- منهج سيبويه في جموع تكسير الأسماء وأثر ذلك في شافية ابن الحاجب وشرحها للرضي. تأليف د. محمد صفوت مرسي ط الأولي ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

المبحث الثاني

التناقض بين النظر والتطبيق في درس الاشتقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

أدهشني ما عليه درس الاشتقاق الصغير من تناقض يملأ مصادرنا ومراجعنا العربية،فيما بين النظر والتطبيق.

ففريق يرى أن المصدر أصل للفعل، وثان يرى أن الفعل أصل للمصدر، وثالث يرى كلاً يشتق من بعضه.

لكنّ اللغويين- قديمهم وحديثهم- على اختلاف آرائهم في العلاقة بين المصدر والفعل- إذا انطلقوا إلى مجال التطبيق، أدركوا ما بين البناءين(الفعل الماضي- والمصدر) من علاقة مطّردة؛ إذ ينهض الحس اللغوي فستقيم الموازنة.

ناهيك عما يحدث داخل قاعات الدرس، إذ نقول: المصدر هو الأصل. فإذا طبقنا بنينا بناءه على بناء الفعل الماضي، وإذا ذكرنا اسم الفاعل قيدناه بمضارع الفعل.

لذا أردت بهذا البحث أن أعرض صور التناقض في أقوال اللغويين، قديمهم وحديثهم، وأن ألقي الضوء على طبيعة كل من الفعل والمصدر من حيث البناء كي أصل من خلال ذلك إلى نتائج البحث.

ذكر اللغويون القدامى أن حد الاشتقاق:" أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى

الأصل، بزيادة مفيدة"[١].

فيُعرف الفرع بزيادة حروفه عن الأصل، ودلالته على معنى زائد. وجعلوا أسماء الأجناس المحسوسة أصلا للغة. لذلك جعل بعض أهل اللغة المصدر أصلا للفعل وللمشتقات؛ لأن المصادر أسماء، والأسماء أصل والأفعال فرع عليها وانقسم النحاة بين مؤيد لأصالة الفعل ومؤيد لأصالة المصدر.

ولو أنَّ قدامى اللغويين لم يحصروا نظرتهم فيما بين الفعل والمصدر من خلال حدِّ الاشتقاق،واكتفوا بما وجدوه من علاقات مطّردة بين أبنية المصادر وأبنية الأفعال الماضية، لما وقعوا في متناقضات فيما بين النظر والتطبيق.

فمَنْ من النحاة واللغويين أدرك خصوصية العلاقة بين الفعل والمصدر،فجعل الفعل أساس المصدر؟ ومَنْ ربط العلاقة بينهما بحد الاشتقاق الذي تعارف عليه اللغويون، فجعل المصدر أصلا للفعل؟ وما حجج كل فريق؟ وما مدى توفيق كلٍّ في عرض حججه؟

---

(١) «**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**» لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولي. علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط عيس البابي الحلبي، ٣٤٦/١، وانظر: «**التعريفات**» لعلى بن محمد الجرجاني، طبعة وفهرسة محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ص٤٣، «**شرح المفصل**» لموفق الذين يعيش بن علي بن يعيش. عالم الكتب. بيروت، ٢/٧.

مجمل ما قيل في الاشتقاق الصغير:

ذكره أبو حيان، قال: "وهذا الاشتقاق أثبته الجمهور في أن بعض الكلم قد تشتق من بعض، وذهب طائفة إلى أن لا يشتق شيء من شيء، بل كلٌّ أصل. وذهبت طائفة أخرى إلى أن كل كلمة مشتقة من الأخرى. ونسب للزجاج وأنَّ سيبويه كان يراه"[١].

وذهب أبو بكر محمد بن طلحة الأموى الأشبيلي(ت٦١٨) إلى أن كلاً من المصدر والفعل أصل بنفسه، ليس أحدهما مشتقا من الآخر[٢].

وذهب معظم نحاة البصرة إلى أنَّ المصدر أصل للفعل وللمشتقات[٣].

وذهب معظم نحاة الكوفة إلى أنَّ الفعل أصل للمصدر وللمشتقات[٤].

وذهب بعض نحاة البصرة إلى أنَّ المصدر أصل للفعل، وأنَّ الفعل أصل للمشتقات[٥].

---

(١) «ارتشاف الضرب من لسان العرب» لأبى حيان الأندلس، تحقيق وتعليق د. مصطفى أحمد النحاس، ط أولى، مطبعة المدني،١٤/١،١٣

(٢) السابق: ٢٠٢/٢.

(٣) «الأشباه والنظائر في النحو» لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٦٦/١

(٤) «الأشباه والنظائر» ٦٦/١

(٥) «ارتشاف الضرب» ٢٠٢/٢

رأى سيبويه(ت١٨٠هـ): عرض ومناقشة تناقض ما نقله اللغويون عن سيبويه عما صرح به في كتابه:

لم يصرح إمام النحاة برأي في العلاقة بين المصدر والفعل، أيهما الأصل؟ إنما تحدث عن العلاقة بين الاسم والفعل في الاشتقاق الأكبر. ويهمنى أن اعرض رأيه؛ لأنَّ لي تعليقا عليه. يقول:

"واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض،فالأفعال أثقل من الأسماء؛ لأنَّ الأسماء هي الأولى، وهى أشد تمكنا فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون، وإنما هي من الأسماء؛ ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم وإلا لم يكن كلامًا، والاسم قد يستغنى عن الفعل، تقول: الله إلهنا، وعبد الله أخونا"[(١)].

فسيبويه يجعل مناط الأصل: الخفة والتمكن فالأسماء الأصل؛ لأنها أخف من الأفعال؛ إذ الأصل في الأسماء التنكير

والأسماء في رأيه أمكن من الأفعال؛ إذ يدخلها ثلاث حركات وتنوين، ولا يدخل الأفعال إلا حركتان

والأفعال عنده لا تستغني عن الأسماء، وإنما تستغني الأسماء عن الأفعال.

---

(١) «الكتاب» لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر. تحقيق عبد السلام هارون. الهيئة العامة للكتاب، ١/٢١،٢٠ وانظر تعليق السيرافى على النص: «شرح السيرافى» تحقيق أ.د. رمضان عبد التواب، الهيئة العامة للكتاب ٢،١٩٩٠/٤٥،٤٤،٣١،٣٠.

وإذا كان اللغويون قد أجمعوا على أن أسماء الأجناس المحسوسة أصل اللغة، فإن سيبويه في هذا النص لم يعتل لأسبقية الأسماء على الأفعال بعلة تتعلق بالبنية، إنما اعتل بعلتين سياقيتين:

الأولى: أن الأسماء يدخلها ثلاث حركات وتنوين، والفعل لا تدخله إلا حركتان.

الثانية: أن الفعل لا يستغنى عن الاسم في حين يستغنى الاسم عن الفعل في سياق الجملة

ويذهب أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ) إلى علة سياقية ثالثة،هي أنَّ الفاعل سابق لفعله، يقول:" الاسم قبل الفعل؛لأن الفعل منه والفاعل سابق لفعله"[١].

ويرد الزجاجي على من يفترض أن الأصل الحروف لأنها تعمل في الأسماء والأفعال، فيقول:

" الحروف سابقة لعملها في هذه الأسماء والأفعال الذي هو الرفع والنصب والخفض والجزم، ولا يجب من ذلك أن تكون سابقة للأسماء والأفعال نفسها"[٢].

والحقيقة أن ثمة تناقضا في كلام الزجاجي، إذ إن العلة التي نفى بها تقديم الحروف على الأسماء والأفعال، هي نفس العلة التي أثبت بها

---

(١) «الأشباه والنظائر» ١/٦٣.

(٢) السابق: ١/٦٤.

أحقية الاسم في التقديم على الفعل والحرف؛ فقد جعل الاسم الأصل لأنه أسبق من الفعل. وهذه علة سياقية.

كما أنه عندما تحدث عن الحرف فرّق بين السياق وأصل الوضع، فلم يجعل الحرف الأصل بالرغم من تقدمه على الأسماء والأفعال، مفرقًا بين الاستعمال وماهية الحرف في أصل الوضع.

وذهب أبو على الشلوبين (٦٤٥هـ)- فيما نقله عنه السيوطي- إلى ما ذهب إليه سيبويه من علل سياقية. وأضاف علة سياقية أخرى،هي أن " الاسم يخبر به ويخبر عنه، والفعل لا يكون إلا خبرا به، والحرف لا يخبر به ولا يخبر عنه. فلما كان الاسم من الثلاثة هو الذي يخبر به ويخبر عنه دون الفعل والحرف، دلَّ ذلك على أنَّه أصل في الكلام دونهما"[١].

وهكذا اتجه النحاة في تقديم الاسم على الفعل والحرف لعلة سياقية متجاهلين فروق البنية ناظرين للاستعمال اللغوي

فإذا انتقلنا إلى الاشتقاق الصغير عند سيبويه، نجد أنَّه لم يذكر شيئا في كتابه عن المصدر والفعل،أيهما الأصل؟ وقد اختلف ما نقله عنه النحاة، عمَّا فسَّر به السيرافى وأبو على الفارسي كلام سيبويه:

نقل أبو حيان في ارتشاف الضرب:"... وذهب طائفة أخرى إلى أن كل كلمة مشتقة من الأخرى، ونسب للزجاج، وأنَّ سيبويه كان يراه..." [٢].

---

(١) السابق: ٦٣/١

(٢) «ارتشاف الضرب» ١٥/١

وقد أشار محقق الارتشاف في الحاشية إلى الصفحة الحادية عشرة من الجزء الأول من كتاب سيبويه المحقق. وهذا الموضع هو ما نقلته- سابقا- من نص سيبويه في الاشتقاق الأكبر. ولا يتعلق بكلام عن الاشتقاق الصغير.

وقد اختلف توجيه شراح الكتاب لكلام سيبويه في نفس النص السابق عمَّا ذكره أبو حيان:

فالسيرافى يعلق على كلام سيبويه الذي ذكر فيه أن الاسم أخف وأمكن من الفعل فيقول السيرافي:

" واسْتَدَلَّ أيضا على ذلك بأنَّ الفعل مأخوذ من المصدر، والمصدر اسم، فالاسم إذًا أصل للفعل..." [(١)].

ولم أجد في الكتاب نصا صريحا يُستدل به على أن المصدر أصل للفعل عند سيبويه وعدت إلى مخطوط السيرافى لعل الفعل (استدل) يكون مبنيا للمجهول، لكنى وجدته مضبوطا كما هو في النص[(٢)].

ويفسر أبو علي الفارسي كلام سيبويه بما يتناسب مع مذهب أبى على البصري، بأنَّ المصدر أصل للفعل

---

(١) «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافى تحقيق أ.د. رمضان عبد التواب، أ.د. محمد محمد مكي،ط أولى ١٤٢١-٢٠٠١، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ٣٠/٢.

(٢) «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافى (مخطوط) دار الكتب والوثائق المصرية، فن (نحو) رقم(١٣٧) ج١ ورقه ٨٥.

يعلق أبو علي على كلام سيبويه في نفس الموضع فيقول: "الأسماء هي الأول للأفعال؛ لأنها مأخوذة من نوع منها وهو المصدر، والدليل على أنها مأخوذة منه، أنَّ الأفعال إذا صيغت للأبنية الثلاثة، دلّ كل بناء على حدث مخصوص مع دلالته على الزمان، والمصدر قبل أن يصاغ الفعل منه لا يخص حدثا بعينه، بل يعم بالدلالة الأحداث الكائنة في جميع الأزمنة، وحكم الخاص أن يكون من العام، فحكم الفعل إذًا أن يكون من المصدر"(١).

فأبو على الفارسي ينطلق في تفسير كلام سيبوسه من خلال المذهب البصري وينظر للعلاقة بين المصدر والفعل من خلال حدّ الاشتقاق.

وقد وجدت بعد البحث أن سيبويه قد أدرك من الناحية التطبيقية، اعتماد المصادر والمشتقات على الأفعال في بنائها واشتقاقها

وسأعرض بعضا من هذه النصوص.

* يجوز عند سيبويه أن تتنوع المصادر من بناء فَعِل يفعَل للمادة الواحدة على الفَعَل والفِعْل والفُعل، مثل: الخَزْي والخَزَي؛ لأن بناء الفعل واحد لهذه المصادر، وكذلك بناء الاسم منه واحد على فَعْلان. يقول: " عَطِش يَعْطَش عَطَشا، وهو عطشان"(٢).

ويأتي المصدر على الفِعْل، والفُعل:" وقالوا: رَوِى يروى رِيًّا وهو

(١) «التعليقة على كتاب سيبويه» لأبى على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي تحقيق وتعليق د. عوض بن حمد القوزى،ط أولى، ١٤١٠-١٩٩٠، ١/٤٣

(٢) «الكتاب» ٤/٢١

ريّان، فادخلوا الفِعْل في هذه المصادر، كما أدخل الفُعْل فيها حين قالوا: السُّكر"[١].

ثم يقول سيبويه:" ومثله: خَزْيان، وهو الخَزْي للمصدر وقالوا الخَزَي في المصدر كما قالوا: العَطَش، اتفقت المصادر كاتفاق بناء الفعل والاسم"[٢].

* ويقرن سيبويه في كلامه كثيرا بين المصدر والمشتقات، فيذكر أنَّ المصدر يأتى مفتوحا فيما قبل الآخر كبناء اسم المفعول من غير الثلاثي، يقول

" وأمَّا فاعلت، فإنَّ المصدر منه الذي لا ينكسر أبدا: مُفَاعَلةٌ.. وذلك قولك: جالسْتُه مُجالسة. وقاعدتُهُ مقاعدة، وشاربْتُه مشاربه، وجاء كالمفعول لأنَّ المصدر مفعول"[٣].

* ويعتل المصدر عند سيبويه لاعتلال فعلة.. يقول:" فأما الإقامة والاستقامة، فإنما اعتلتا كما اعتلت أفعالهما"[٤].

* ويجعل الزيادة في مصدر أفعل إفعال واستفعل استفعال زيادة لازمة. أمَّا الزيادة في مثل: جلوس مصدر جلس، فليست لازمة، لأنها زيادة ليست في الفعل ولأنَّ أصل المصدر من الثلاثي المجرد(فَعْل).

---

(١) «الكتاب» ٤/٢٢

(٢) «الكتاب» ٤/٢٢

(٣) «الكتاب» ٤/٨٠ وانظر أيضا: مواضع أخرى ٤/٣٥،٢٢،١٩،١٧،١٦ وما بعدها.

(٤) «الكتاب» ٤/٣٥٤

يقول: "فإذا قلت: الجلوس والذهاب ونحو ذلك فقد ألحقت زيادة ليست من الأصل ولم تكن فى الفعل. وليس هذا الضرب من المصادر لازما بزيادته لباب(فعل) كلزوم الإفعال والاستفعال ونحوهما لأفعالهما، فكان ما جاء على (فَعَل) أصله عندهم (الفَعْل) في المصدر"[١].

* ويجعل في كتابه بابا للمصدر الواقع لغير فعله سماه:"باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل لأنَّ المعنى واحد"[٢].. يقول فيه: "وذلك قولك: اجتوروا تجاورا، وتجاوروا اجتوارا؛ لأنَّ معنى اجتوروا وتجاوروا واحد، ومثل ذلك: انكسر كسْرا، وكُسِرَ انكسارًا؛ لان معنى كُسِرَ وانكسر واحد. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾(نوح: ١٧). لأنَّه إذا قال: أنبته فكأنه قال قد نبت..." [٣].

* والمصدر الميمي عند سيبويه يبنى على فِعْلِةِ كما يبنى اسم المكان واسم الزمان وذلك في باب:"... اشتقاقك الأسماء لمواضع بنات الثلاثة التي ليست فيها زيادة من لفظها، يقول عن المضارع المجرد: " أمَّا ما كان من فَعَل يَفْعِلُ فإنَّ موضع الفعل: مَفْعِل، وذلك قولك: هذا مَحبِسُنا ومَضْرِبُنا ومَجْلِسُنا، كأنَّهم بنوه على بناء(يَفْعِل) فكسروا العين كما كسروها في يَفْعِل. فإذا أردت المصدر بنيته على

---

(١) «الكتاب» ٤/٤٥

(٢) «الكتاب» ٤/٨١

(٣) «الكتاب» ٤/٨١ وانظر: «المقتضب» للمبرد ١/٢١١، ٢١٢

مَفْعَل، وذلك قولك: إنَّ في ألف درهم لمضربًا أى لضربا..." [١].

ويقول: " وأمَّا ما كان (يَفْعَلُ) منه مفتوحا، فإنَّ اسم المكان يكون مفتوحا، كما كان الفعل مفتوحا. وذلك قولك: شَرِب يَشْرَب، وتقول للمكان مَشْرَبُ. ولَبِس يَلْبَسُ، والمكان: الملبس. وإذا أردت المصدر فتحته أيضا كما فتحته في يفعل"[٢].

* والمشتقات الوصفية مأخوذة عنده من الفعل، يقول في اسم الفاعل من الفعل المعتل الوسط.

" فإن قلت: قالوا(طويل)؟ فإنَّ طويلا لم يجىء على يطول ولا على الِفعل. ألا ترى أنَّك لو أردت الاسم على (يَفْعل) لقلت: طائلٌ غدا. ولو كان جاء عليه لا عتلَّ فإنما هو كفعيل يعنى به مفعول.."[٣].

فلعلي لا أكون قد تجاوزت عندما أقول إنَّني فهمت من النصوص السابقة أن سيبويه يرى الفعل أصلا للمصدر وللمشتقات.

التناقض بين النظر والتطبيق عند بعض القدامى الذين جعلوا المصدر أصلا للفعل:

رأي المبرد:

يجعل أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(٢٨٥هـ) المصدر أصلا

---

(١) «الكتاب» ٨٧/٤

(٢) «الكتاب» ٨٩/٤

(٣) «الكتاب» ٣٥٥/٤

للفعل، ويسميه اسم الفعل، يقول: "واعلم أنَّ المصدر كسائر الأسماء إلا أنَّه اسم الفعل"[١]. ويقول " واعلم أنَّ المصادر كسائر الأسماء، إلا أنها تدل على أفعالها"[٢].

لكن عندما ينطلق من دائرة النظر إلى دائرة التطبيق يقول: " وهذه الأفعال التي على ثلاثة أحرف تختلف مصادرها لاختلافها في أنفسها: لأنَّ المصدر إنما يجرى على فعله، فإذا خرجت الأفعال من الثلاثة لم يكن كل فِعْل منها إلا على طريقة واحدة ولم تختلف مصادرها"[٣].

وهذا نص يتناقض تماما مع رأيه بأنَّ المصدر أصل للفعل

وانظر أيضا إلى عقده مقارنة بين المصدر واسم الفاعل، يقول: "وإنما الفصل بين المصدر وبين اسم الفاعل أنَّك إذا قلت عجبت من ضَرْب زيد عمرا أنَّ ضربا في معنى(أن ضَرَبَ) فيحتاج ما بعدها إلى الفاعل والمفعول. فإذا قلت عجبت من ضارب عمرا، فقد جئت بالفاعل، وإنما بقى المفعول. والفاعل يحمل على المصدر"[٤].

---

(١) «المقتضب» للمبرد ٣/٢٢٦ و٣/٤، ٦٨/٢٩٩، وانظر تطور مصطلح المصدر فى كتاب «المصدر الصناعى فى العربية: دراسة صرفية ودلالية من خلال مؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا» للدكتور/ محمد عبد الوهاب شحاتة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ص١٧ وما بعدها.

(٢) «المقتضب» للمبرد ٣/٢٦٧ وانظر أيضا: ٣/٢٣٠.

(٣) السابق: ١/١٢٠

(٤) السابق: ٣/٢٦٩

فالنص يحمل كلا من المصدر واسم الفاعل على الفعل في وجه من الوجود وهو العمل.

ويذكر المبرد أن المصدر يقع مكان اسم الفاعل"... ويجوز أن يُوضع (البر) في موضع (البار)..." [١].

ويوضع اسم الفاعل موضع المصدر ".. وإن شئت وضعت اسم الفاعل في موضع المصدر فقلت: أقائما وقد قعد الناس..."[٢]. ويقع المصدر بمعنى اسم المفعول[٣].

ويرى ابن السراج محمد بن سهل (٣١٦هـ) أن المصادر هي الأصل، إذ تدل على الحدث، والأفعال الفرع؛ لأنها تضمنت معنى الحدث والزمن. يقول: "المصدر اسم كسائر الأسماء، إلا أنَّه معنى غير شخص، والأفعال مشتقة منه، وإنما انفصلت من المصادر بما تضمنت معاني الأزمنة الثلاثة بتصرفها"[٤].

وعندما ينطلق ابن السراج من دائرة الاشتقاق إلى آفاق التطبيق ويلمح ما بين أبنية الفعل الماضي وأبنية المصادر من علاقات يقول: "المصادر تجيء على أفعالها على القياس لا تتغير، نحو: استفعلت

---

(١) السابق: ٣/٢٣١، ٢٣٠

(٢) السابق: ٣/٢٢٩

(٣) السابق: ٣/٢٣٤

(٤) «**الأصول في النحو**» لمحمد بن سهل بن السراج تحقيق د.عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة ط الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ٣/١٥٩.

استفعالا وأعطيت إعطاءة، وانطلقت انطلاقة، واستخرجت استخراجة..."[١].

رأي ابن جني:

وابن جني أبو الفتح عثمان(٣٩٢هـ) يرى أن المصدر أصل للفعل، يقول:" والفعل مشتق من المصدر،[٢]ويجعل إعلال المصدر لإعلال الفعل من باب حمل الأصل على الفرع يقول: "وقد دعاهم إيثارهم لتشبيه الأشياء بعضها ببعض أن حملوا الأصل على الفرع ألا تراهم يعلّون المصدر لإعلال فعلة؛ ويصحّحونه لصحته. وذلك قولك: قمت قياما وقاومت قواما فإذا حملوا الأصل الذي هو المصدر على الفرع الذي هو الفعل، فهل بقى في وضوح الدلالة على إيثارهم تشبيه الأشياء المتقاربة بعضها ببعض شبهةٌ!. وعلى ذلك أيضا عوضوا في المصدر ما حذفوه في الفعل، فقالوا: أكرم يكرم، فلما حذفوا الهمزة في المضارع أثبتوها في المصدر، فقالوا: الإكرام..." [٣].

ولست أوافق ابن جني فيما ذهب إليه؛ إذ إن الهمزة في المصدر (إكرام) ليست عوضا عن الهمزة المحذوفة في المضارع(يفعل)؛ إذ إن

---

(١) السابق: ١٤٠/٣

(٢) «**اللمع فى العربية**» لأبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق أ.د. حسين محمد شرف، عالم الكتب. ط أولى ١٣٩٩- ١٩٧٩، ص١٣١.

(٣) «**الخصائص**» لأبى الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١١٣/١ وانظر أيضا ١٢٢/١،١٢١.

المصدر يبنى على فعله الماضي (أكرم) فليس ثمة تعويض. بل أقول إن إعلال المصدر تبعا لفعله دليل على أن الأصل هو الفعل، وليس من باب حمل الفرع على الأصل.

رأي ابن عصفور:

وابن عصفور على بن مؤمن (٦٦٩هـ) يرى أن المصدر أصل للفعل، وعند التطبيق يلمح ما بين البناءين من علاقة مطردة تقوم في الأصل على ملاحظة بناء الفعل الماضي فيقول: ".. أن كان على وزن فَعَل، فإنه إن كان متعديا، وكان مضارعه مكسور العين أو مفتوحا، فإنَّ المصدر منه يكون على وزن فَعْل، نحو: ضَرْب، وفِعْل نحو قولك: فعلت فِعْلا... وإن كان مضارعه مضمومًا، كان المصدر منه على فَعْل: كقَتْل، وفُعْل كشُكْر..."[1].

رأي أبي حيان:

ويتحمس أبو حيان الأندلسي(٧٤٥هـ) لرأى البصريين بأنَّ المصدر أصل للفعل وللمشتقات، ويعترض على من ذهب منهم إلى أنَّ المصدر أصل للفعل، وأنَّ الفعل أصل للمشتقات. ويعترض على رأى الكوفيين أن الفعل أصل للمصدر، يقول: "المصدر هو الأصل، والفعل واسم الفاعل واسم المفعول وسائر الأسماء التي فيها مادة المصدر فروع اشتقت من

---

(١) «المقرب» لعلى بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبورى، مطبعة العاني، بغداد، ط أولى ١٣٩١-١٩٧١.، ١٢/٢.

المصدر خلافا للكوفيين؛ إذ زعموا أنَّ الفعل هو الأصل والمصدر مشتق منه، ولبعض أصحابنا في زعمه أن الصفات مشتقة من الفعل، ولأبى بكر بن طلحة في زعمه مع قوله بالاشتقاق: أنَّ كلاً من المصدر والفعل أصل بنفسه ليس أحدهما مشتق من الآخر"[١].

ولكن عند التطبيق يقول أبو حيان:" الثلاثي المجرد إن كان على وزن فَعَل متعديا فمصدره يجيء على فُعول كجحود، وفَعَل: كسَرَف، وفَعْل كحَنْق، وفُعْل كشُغْل..." [٢].

ويجعل أبو حيان صيغة المبالغة محوّلة من اسم الفاعل" المثال هو ما حول من اسم الفاعل للمبالغة إلى فعول، وفعَّال..." [٣].

رأي ابن هشام:

وانظر أيضا إلى تناقض كلام ابن هشام أبي محمد عبد الله جمال الدين (٧٦١هـ)، فبعد أن يذكر أن المصدر أصل للفعل وللمشتقات يقول: "اسم الفاعل، وهو ما اشتق من فِعْل لمن قام..." وأقول،قولي: ما اشتق من فعل فيه تجوز، وحقه ما اشتق من مصدر فعل"[٤].

---

(١) «**ارتشاف الضرب**» ٢/٢٠٢.

(٢) «**ارتشاف الضرب**» ١/٢٢١.

(٣) «**ارتشاف الضرب**» ٣/١٩١.

(٤) «**شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب**» لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأنصار بالقاهرة ص٤٦١.

بعض آراء من ذهبوا إلى أن الفعل أصل للمصدر:

رأي ابن القوطية:

ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (٣٦٧هـ) يقول في مقدمة كتابه الأفعال: "اعلم أنَّ الأفعال أصول مباني أكثر الكلام، وبذلك سمّتها العلماء الأبنية وبعلمها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة وهى حركات متقضيات. والأسماء غير الجامدة والأصول كلها مشتقات منها..."[(١)].

رأي القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب:

* القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب، من علماء القرن الرابع الهجري، يقول: "اعلم أنَّ المصدر مشتق من الفعل الماضي المأخوذ منه؛ وليس هو بفعل محض، ولا باسم محض، إذ لو كان فعلا محضا لانتفى عنه التنوين، ولو كان اسما محضا لثُنّى وجمع وأنِّث. وهو قول هشام بن معاوية الكوفي ت٢٠٩.وأول من سماه مصدرا ووسمه به الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن البصري؛ وسمى مصدرا لصدوره عن الفعل الماضي، ولأنه متوسط في الصرف مكان الصدر من الجسد"[(٢)].

---

(١) «**كتاب الأفعال**» لأبى بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية تحقيق على فودة، مكتبة الخانجى القاهرة، ط أولى ١٩٥٢، ص١، وانظر نفس النص بكتاب «**الأفعال**» لابن القطاع ٨،٩/١

(٢) «**دقائق التصريف**» للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب. تحقيق د. أحمد ناجي القيسي. د. حاتم صالح الضمان. د. حسين نورال. المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧،ص٤٤

رأي ابن القطاع:

* ابن القطاع الصقلي(٥١٥هـ) يقول:" فإذا صرّفنا الفعل قلنا: وَقَى يَقِي وَقْيا، فهو واقٍ والمفعول: مُوْقى، والأمر للواحد: قِ،وللاثنين: قِيا، وللجمع:قُوا..."[١].

* ويرى ابن مالك(٦٧٠هـ) البصري المذهب أن الفعل أصل للمصدر. يقول:" يصاغ المصدر من كلِّ ماضٍ أوله همزة وصل بكسر ثالثه وزيادة ألف قبل آخره. ومن كلّ ماضٍ أوله تاء للمطاوعة أو شبهها... ويصاغ من (أفعل) على (إفعال)..." [٢].

حجج الكوفيين والبصريين، وتفنيدها:

وقع كلٌّ من الكوفيين والبصريين في متناقضات أو تعليلات غير صحيحة فيما ذكره كلٌّ منهما من حجج. وسأعرض مضمون ما ذكره الأنبارى من حجج الفريقين، وأعلق عليها بما أرتضيه:

الحجة الأولى: ذهب الكوفيون إلى أنَّ المصدر يصحّ ويعتلّ باعتلال الفعل.مثل: قاوم قواما.. ورد البصريون بأنَّ هذا لا يدل على الأصالة والفرعية، إنما هو طلب المشاكلة[٣].

---

(١) «**أبنية الأسماء والأفعال والمصادر**» لابن القطاع الصقلي، تحقيق أ.د. أحمد محمد عبد الدايم، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٩، ص٩٧.

(٢) «**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**» لابن مالك.تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧-١٩٦٧، ص٢٠٦.

(٣) «**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**» للشيخ كمال الدين أبى البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى النحوي، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي القاهرة١/١٤٨،١٤٧،١٤٤.

وفى رأيّ: أنّ طلب المشاكلة يأتى من باب أنَّ أصل تلك الكلمات واحد، فليست المشاكلة مضادة للاتحاد في أصل البنية، بل هي نتيجة من نتائجها.

الحجة الثانية: قال الكوفيون إنَّ الفعل يعمل في المصدر، فأوجب ذلك أن يكون فرعا؛ لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول.

وردّ البصريون بأنَّ الحروف تعمل في الأفعال والأسماء، ولم يذهب أحد إلى أنَّ الحروف أصل لها[١].

وأقول إن علة الكوفيين لا تصحّ في هذا الموضع، إذ إنها تتعلق بالعمل والرتبة لا بالبناء. وقد نقل السيوطي في الأشباه والنظائر أنَّ هذه الحجة" في غاية السقوط؛ وبيانه من ثلاثة أوجه، أحدها أنَّ العامل والمعمول من قبيل الألفاظ، والاشتقاق من قبيل المعاني، ولا يدل أحدهما على الآخر اشتقاقا. والثاني: أنَّ المصادر قد تعمل عمل الفعل... ولا يدل ذلك على أصل.والثالث: أن الحروف تعمل في الأسماء والأفعال،ولا يدل ذلك على أنها مشتقة أصلا، فضلا عن أن تكون مشتقة من الأسماء والأفعال"[٢].

الحجة الثالثة: ذهب الكوفيون إلى أنَّ المصدر يأتى تأكيدا للفعل، ورتبة المؤكِّد تالية لرتبة المؤكَّد

ورد البصريون بأنَّ قولنا: جاءني زيد زيد، ف(زيد) الثانية توكيد

---

(١) «الإنصاف» ١/١٤٨، ١٤٤.

(٢) «الأشباه والنظائر» ١/٦٩

للأولى وليست مشتقة منه ولا فرعا عليه[١].

وأقول إنَّ علة الكوفيين لا تصح إذ إنها علة سياقية، تتعلق باستعمال اللفظ داخل السياق، ولا تتعلق ببنية الكلمة

الحجة الرابعة: ذهب الكوفيون إلى أنَّ في اللغة أفعالا لا مصادر لها مثل: نعم، وبئس، عسى، ليس، حبذا، وفعلي التعجب. فدلَّ ذلك على أنَّ الفعل هو الأصل؛ إذ لا فرع بدون أصل

واعترض البصريون بأنَّ ثمة مصادر لم تستعمل أفعالها، نحو: "وَيْلهُ، ووَيْحَهُ، وويْهَهُ، وويْبه، وويْسَهُ، وأهلا، وسهلا، ومرحبا..." [٢].

وأقول إنَّ وجود أفعال في اللغة ليست لها مصادر والعكس ليس بدليل على أنَّ هذه الأفعال ليست لها مصادر، أو أنَّ المصادر ليست لها أفعال، إذ لم يصل إلينا كل ما تكلم به العرب.. [٣] فهذه حجة مردودة على الفريقين.

الحجة الخامس: يربط الكوفيون بين تلازم الفعل والفاعل، فالفاعل وضع له (فعل) في صيغة الماضي، و(يفعل) في صيغة المضارع، فكذلك التلازم بين الفعل والمصدر، إذ لا يتصور معنى ما لم يكن فعل يوضع

---

(١) «**الإنصاف**» ١٤٩، ١٤٤، ١ وانظر: «**شرح عيون الأعراب**» ص٢٧٩

(٢) «**الإنصاف**» ١/ ١٥٠، ١٤٤.

(٣) انظر: «**دقائق التصريف**» ص٥٧،فقد ذكر بابا:(حكم في المصادر التي لا أفعال لها) وص ٦٧(حكم في الأفعال التي لا مصادر لها من كلام الفراء).

المصدر في سياقه[١].

ورد عليهم البصريون بأنَّ كلمة الضرب مثلا وقعت قبل وقوع الفعل، إذ محال أن يخبر عن حروف شيء ووقوعه قبل تسميته

وأقول إن ما ذهب إليه الكوفيون يتعلق بالاستعمال اللغوي لا بالبنية. وما اعتل به البصريون علة ذهنية تعتمد على استدعاء المسميات لا تعتمد على أصول بنيوية

الحجة السادسة: ذهب الكوفيون إلى أنَّ كلمة (مصدر) بمعنى مفعول، أي مصدور عن الفعل. وليس بمعني مصدر صدر عنه الفعل.

هذا على عكس ما ذهب إليه البصريون أنَّ(المصدر) للموضع وليس للمفعول،فهي عندهم اسم مكان لما يصدر عنه الشئ[٢].

* وزاد البصريون أن المصدر اسم وهو الأصل، لأنَّ الاسم يقوم

---

(١) هذا ما فهمته من نص الكوفيين:" الدليل على أن المصدر فرع على الفعل أن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل، والفاعل وضع له فَعَل يفْعَل، فينبغي أن يكون الفعل الذي يعرف به المصدر أصلا للمصدر" «الإنصاف» ١٤٥/١. وقد أشار المحقق في حاشية الصفحة أن كلمة (الفاعل) المرجح أن يكون المقصود بها (الفعل) انظر الحاشية.
وأرى أن لفظة (والفاعل) صحيحة في موضعها؛إذ يعقد الكوفيون مقارنة بين تلازم الفعل والفاعل. وتلازم المصدر والفعل في السياق لمعرفة معنى المصدر. ومما يدل على صحة ما ذهبتُ إليه أن النص تكرر بنفس اللفظة ص١٥٠ من نفس الجزء، فانظر الموضع والحاشية أيضا.

(٢) «الإنصاف» ١٥١/١، ١٥٠، ١٤٥

بنفسه ويستغنى عن الفعل. والفعل لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى الاسم، والاسم يستغنى بنفسه ولا يفتقر إلى غيره [١].

وقد ذكرت سابقا أنَّ هذه علة سياقية

* وذهبوا أيضا إلى أنَّ المصدر يدل على الحدث والفعل يدل على الحدث والزمن. ففيه فضل زيادة مما يدل على أنَّ الفعل مشتق من المصدر[٢].

وما ذكره البصريون يعد أصلا من أصول الاشتقاق"... ويدل على أنه فرع دلالته على معنى زائد على ما اشتق منه،نحو:ضارب وضرب..." [٣].

وهذا الأصل إن صح في التفريق بين كلمات المادة الواحدة في الأسماء لمعرفة أيها الأصل كالفضل والفضيلة، فلا يصح أن يكون حدًّا لمعرفة الأصل من الفرع بين الأفعال والمصادر، لأن المنطق العقلي يهتدى بالقياس اللغوي إلى أيهما أصل وفرع.

* وذهب بعض البصريين إلى أن المصدر له مثال واحد نحو: الضرب، والقتل، والفعل له أمثلة مختلفة، كما أن الذهب نوع واحد وما يوجد منه أنواع وصور مختلفة"[٤].

وذهب بعضهم إلى غير ذلك فقالوا " الدليل على أنَّ المصدر ليس

---

(١) «**الإنصاف**» ١/١٤٥

(٢) «**الإنصاف**» ١/١٤٧،١٤٥

(٣) «**ارتشاف الضرب**» ١/١٤

(٤) **الإنصاف**» ١/١٤٦

مشتقا من الفعل، أنَّه لو كان مشتقا منه لكان يجب أن يجرى على سنن في القياس، ولم يختلف كما لم يختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلما اختلف المصدر اختلاف الأجناس كالرجل والثوب والتراب والماء والزيت وسائر الأجناس، دلَّ على أنه غير مشتق من الفعل" ويقول ابن السراج" ولو كانت المصادر مأخوذة من الفعل[١] كاسم الفاعل لما اختلفت كما لا يختلف اسم الفاعل"[٢].

وأقول إنَّ صيغ المبالغة لا تجرى على سنن في العربية، بل إنَّ أوزانها سماعية ولم يذهب أحد من اللغويين إلى أنها أصل والفعل فرع عليها. بل إنَّ النحاة يذهبون مذهبا غريبا في صوغها فيقولون أنها تحول من صيغة اسم الفاعل للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث، فهلا أرجعوها إلى الفعل فتصاغ منه كما يصاغ اسم الفاعل[٣].

كما أن كلام البصريين في هذا الموضع يختص المصادر من الفعل الثلاثي، فهي سماعية. إنما مصادر الرباعي والخماسي والسداسي فلها قواعد وأصول ثابتة تعتمد فيها على أبنية الأفعال الماضية

كما أن تعدد أبنية المصادر للفعل الثلاثي المجرد تستدعى سؤالا: أيّ

---

(١) «**الإنصاف**» ١٤٦/١

(٢) «**الأصول في النحو**» لأبى بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق عبد الحسين القتلى، مؤسسة الرسالة ٨٥/٣.

(٣) انظر: «**شرح شذور الذهب**» ص٤٦٨ يقول ابن هشام "ما حول للمبالغة من فاعل إلى فعال أو مفعال أو فعول،بكثرة أو فعل،بقلة..."

هذه المصادر هو الأصل إذا تعددت المصادر لمادة واحد؟ إنَّ مادة مثل ضَرَب، ضَرْب اتحد البناءان في عدد الحروف، وتحرك حرف الأصل الثاني في الفعل

فإذا جئنا بالفعل (ضارب) فمصدره(مضاربة) واكتسب كل من الفعل والمصدر دلالة جديدة بزيادة بنائهما.

وكذا يقال في الفعل (تضارب) ومصدره (تضارب) وكذا الفعل (استضرب) ومصدره (استضراب)

فثمة خصوصية في العلاقة بين الفعل والمصدر لا تحتاج تطبيق حدّ الاشتقاق عليهما، إذ الأجدر أن ينظر إلى ما بين أبنيتها من تناسب. يقول عبد الله أمين:"وسترى في المباحث الآتية أن أصل المشتقات جميعا شيء آخر لا هو المصدر ولا هو الفعل، وأنَّ الفعل مقدَّم على المصدر وعلى جميع المشتقات في النشأة،وأنَّ هذه المشتقات جميعها، ومعها المصدر مشتقة من الفعل، بعد اشتقاق الفعل من أصل المشتقات وهى أسماء المعاني من غير المصادر وأسماء الأعيان والأصوات..." [1].

وهذا رأى جدير بالاحترام

---

(١) «**الاشتقاق**» تأليف عبد الله أمين،ط أولى، ١٣٣٧٦ – ديسمبر ١٩٥٦، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص١٤

آراء بعض اللغويين المحدثين وما وقع في كلامهم من تناقض:

لم تخل أيضا كتب المحدثين-ممن عالجوا الاشتقاق-من تناقض:

* فيذهب عباس حسن إلى أن المصدر أصل للفعل، واصل للمشتقات. يقول: "المصدر الصريح-في الرأى الشائع المختار- هو أصل المشتقات العشرة- ومنه تتفرع. ولا يعنينا اليوم كل الأدلة التي قام عليها اختياره وتفضيله، وحسبنا أقواها، وهو قولهم: إنّه بسيط، لدلالته على المعنى المجرد. والبسيط أصل المركب. بخلاف الفعل الماضي الذي يعده آخرون كالكوفيين الأصل، بحجة أنّه يدل على المعنى المجرد وعلى الزمن، فهو يدل على المصدر وزيادة. وبتغيير بسيط يدخله على بنيته يجيء المضارع أو الأمر. فالمصدر لهذا أحق عندهم بأن يكون الأصل..." (١).

ثم يذكر موافقة المجمع على الاشتقاق من أسماء الأعيان،فتؤخذ الأفعال من أسماء الأعيان مثل القطن يقال قطنت الأرض تقطن

ثم يذكر عباس حسن كلامًا يناقض ما عليه النص السابق. يقول: "وتؤخذ المشتقات الأخرى من هذه الأفعال على حسب القياس الصرفي"(٢).

---

(١) «النحو الوافي» تأليف عباس حسن، دار المعارف،ج٣،ط السادسة،حاشية صفحتي ١٨٣،١٨٢ من الجزء الثالث.

(٢) «النحو الوافي» ٣٣/حاشية ص١٨٥.

* ولى وقفة قد تطول مع كتاب (ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية) نظرا لما وقع فيه من كثرة تناقض:

أولا: يقول الباحث:" والصرف على ما ذهب أهله هو التغيير الحاصل في بنية اللفظ العربي منه وغير العربي بقصد ثراء اللغة أيضا، وبقصد وضع معايير ثابتة لكيفية قياس اللفظ..." (١).

أحال الباحث قوله (غير العربي) إلى مقدمة ابن جني في كتابه سر صناعة الأعراب

ولم يذكر ابن جني شيئا عن (غير العربي)؛ إذ قال في بيان غرضه من تأليف سر الصناعة: "... أن أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب..." (٢).

ويقول ابن جنى: "أتبع كل حرف منها مما رويته عن حذّاق أصحابنا وجلتهم، وحذوته على مقاييسهم وأمثلتهم..." (٣).

فلم يضع ابن جني كتابه لدراسة غير العربية، إذ لا تدخل في مجال

---

(١) «ظاهرة الاشتقاق فى اللغة العربية» د. طنطاوي محمد دراز، مطبعة عابدين، ط ١٩٨٦م ص٥١.

(٢) «سر صناعة الإعراب» لأبى الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوى، دار القلم دمشق، ٣/١

(٣) السابق: ٤/١ وانظر: «المنصف» شرح أبى الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب «التصريف» لأبى عثمان المازني النحوي البصري،تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين: ٧/١

علم الصرف العربي. يقول عباس حسن:" يختص التصريف بالأسماء العربية المتمكنة، والأفعال المتصرفة" فلا شأن له بالأسماء الأعجمية، ولا بالأسماء العربية المبنية.." [١].

ثانيا: اضطرب رأى الباحث في المصدر والفعل أيهما الأصل؟

* ففي موضع من الكتاب يرى أن المصدر أصل للفعل، يقول: "...إنَّ الحدث باد كأساس تدور دائرة المعنى الركازية حتى إنَّه قد يطغى على الزمان. مما يرجح لنا من وجهة نظر جمالية بحتة أنَّ المصدر أصل المشتقات"[٢].

وهذا كلام لا يقال في مجال البحث اللغوي؛ إذ إن المقاييس الجمالية ليست مؤهلة للفصل بين الفرع والأصل في المجال اللغوي!!

* وفى موضع آخر يتحمس لرأى القائل بأنَّ ثمة مادة لغوية أصلية أخذ منها الفعل ثم إنَّ الفعل"... تَشْتَقّ عليه مصدره وهو المفعول المطلق له الذي يؤكده..." [٣].

ثم يناقض الباحث نفسه في نفس الموضع، فيرى أن الفعل والمصدر لا يشتق أحدهما من الآخر، يقول: "ومن هذا الذي قدمت يتضح الآن نقاط، أولها: أنَّ اشتقاق الأفعال ليس من المصادر ولا العكس،وإنما اشتقاقهما معا على مقاطع ثنائية مدغمة أو مقلوبة أو مبدلة أو مزيدة، هي

---

(١) «النحو الوافي» ٤/٧٤٧

(٢) «ظاهرة الاشتقاق» ص٢٦٧.

(٣) السابق: ص٣٩٦.

أسماء لمسميات طبيعية من الأصوات والأعيان والأزمنة والأعداد وثانيهما: أن المصادر تشتق على الأفعال لتوكيدها وبيان نوعها وعددها..." [١].

* وفى موضع ثالث يذكر أنَّه لا يعنيه المصدر أو الفعل أيهما الأصل يقول عن المصدر: "يرى البعض أنَّه أسبق، في كونه مشتقا على الجذر، من الفعل، ويرى البعض أن الفعل أسبق منه في كونه مشتقا. وهذا لا يعنيني في شيء لأن المفاضلة لا تقوم بين مختلفين في المعنى والأداء اللغوي، ولا ينبغي لها أن تقوم.فكل لفظ وضع لمعناه"[٢].

أقول: إن أحدا ممن ذهبوا إلى أن الأصل هو المصدر أو الفعل، لم يرجح هذا أو ذاك على سبيل الأفضلية، بل أقاموا الدراسة على حجج ترى أنَّ هذا الأصل وذاك الفرع.

* وفى موضع رابع يناقض كلامه مرة أخرى، يقول: "كذلك المصدر يصح أن ترتبه على فعل، فتقول إنَّ الفعل أصله، ولكن الذي ينبغي أن يقال هو أنَّ المصدر اسم مشتق على أسماء هي ذاتها تلك التي اشتق عليها الفعل وهذه الأسماء الثنائية الجذر عند الوضع. ويشتق على المصدر بعد هذا المشتقات السبعة المشهورة"[٣].

* وفى موضع خامس يناقض كلامه، فيقول عن الصفة المشبهة:

---

(١) السابق: ص٤٠٥.

(٢) السابق: ص٤١١

(٣) السابق: ص ٤١٢،٤١١

"والمتصفح للكتب اللغوية والأدبية يستطيع أن يستخرج أنماطا كثيرة جدا من الصفات لم ترد في كتب الصرفيين، وردت على أوزان مختلفة غير أوزان الفاعلين والمفعولين القياسية. والأفعال التي اشتقت منها هذه الصفات أفعال رباعية وأكثرها لازم وأقلها متعد..."[١].

* وأريد أن اختتم كلامي هنا برأى معتدل في الاشتقاق الصغير ذكره الدكتور إبراهيم أنيس، يرى فيه أن اللغة:" تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وقد يسبق بعضها بعضا في الوجود. ولهذا يجدر بنا ألا نتصور أنَّ الأفعال أو المصادر حين عرفت في نشأتها عرفت معها المشتقات. فقد تظل اللغة قرونا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده، حتى تدعو الحاجة إلى ما يشتق منهما..." [٢].

(١) السابق: ص٤٤٢ وانظر ص٤٤،٤٥.

(٢) «من أسرار اللغة» تأليف د.إبراهيم أنيس، ط السادسة، ١٩٧٨، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٦٣.

خاتمة البحث والنتائج

بعد هذا العرض أرى أن الفعل أصل للمصدر وسوف أضع نقاطا أراها نتائج للبحث أجمع فيها مجمل الرأى:

أ- أن من ذهب من القدماء والمحدثين إلى أن المصدر أصل للفعل،وقعوا فى تناقض حين التطبيق

ب- ثمة خصوصية في العلاقة بين الفعل الماضي والمصدر لا تحتاج تطبيق حدّ الاشتقاق، إذ الأجدر أن ينظر إلى ما بين أبنيتهما من تناسب لمعرفة أيهما الأصل.

ج- أن مادة الفعل الماضي أصل للمصدر بناء على ما يجئ في النقاط الآتية:

١- إن تعدد أبنية المصادر للفعل الثلاثي المجرد يستدعى سؤالا: أيّ هذه المصادر هو الأصل إذا تعددت المصادر لمادة واحدة؟

٢- ثمة علاقة مطّردة بين أبنية الأفعال غير الثلاثية، وأبنية مصادرها تقوم على ملاحظة بناء الفعل الماضي

٣- المصدر يعتل تبعا لإعلال فعله، إذ يحمل فيه الفرع على الأصل

٤- ما جاء من المصادر على غير فعله عدّه النحاة اسما للمصدر.يقول سيبويه:" ومما جاء اسما للمصدر قول الشاعر النابغة:

إنَّـــا اقتـــسمنا خُطَّتَـــا بيتـــا

فحَمَلْـــتُ بَـــرّةَ واحْتَمَلْـــتَ فَجَـــارِ

ففجار معدول عن الفجرة"[١].

٥- ما لم يأت من المصادر على أبنية أفعالها عدّه النحاة شاذا. يقول أبو حيان:" وشذ حَوْطة وحيطة، وغيبة وخيرة، في احتاط، واغتاب، واختار"[٢].

٦- ويجعلون التاء في آخر المصدر من الفعل المعتل فاء الكلمة عوضا عن الحرف المحذوف من الفعل"... والهاء في نحو عدة من الواو المحذوفة، فلا يجوز حذفها إلا برد الواو نحو:وعد..." [٣].

٧- ومن المصادر ما كان مبنيا للصفة فوقع للمصدر، مثل: توضأت وضُوءا وتطهرت طهورا وأولعتُ به وَلوعا"[٤].

٨- ومنها ما كان من أبنية المصادر ولكن جعل على معنى الصفة فجاء على معنى فاعل أو مفعول. قال سيبويه:" وقد يجئ المصدر على المفعول، وذلك قولك: لبنٌ حلبٌ، إنما تريد: محلوب، وكقولهم: الخَلْق، إنما يريدون المخلوق. ويقولون للدرهم. ضرب الأمير، إنما يريدون مضروب الأمير. ويقع على الفاعل، وذلك قولهم:يوْم غَمٌ، ورجل نَوْمٌ إنما يريد:النائم والغامّ"[٥].

---

(١) «الكتاب» ٢٧٤/٣، وانظر: «دقائق التصريف» ص٦٢. فقد أورد بابا من كلام الفراء(حكم آخر في المصادر التي تخالف صدورها)

(٢) «ارتشاف الضرب» ٢٢٧/٢٢٦،١/١

(٣) السابق: ١١٧/١

(٤) «الأصول في النحو» ١١١/٣

(٥) «الكتاب» ٤٣/٤ وانظر: «الأصول في النحو» ١١١/٣.

ويقول ثعلب عن وقوع الوصف مكان المصدر معلقا على بيت حسّان بن ثابت حين عطف الوصف على المصدر:

"فـــإني وإيّـــاه كرِجْلَـــيْ نعامـــة

علـــى كـــل حـــال مـــن غنـــى وفقيـــر

والمصادر تُردُّ على الأسماء،والأسماء تُرَدُّ على المصادر، لأن المصادر ظهرت ظهور الأسماء وتمكّن الإعراب منها"[1].

٩- يتجه الدرس اللغوي دائما إلى عقد المقارنات بين المصدر والاسم المشتق؛ إذ يتعاقب كل منهما مكان الآخر،وإذ يعتمد كلٌّ على الفعل في البناء أو الاشتقاق.

وأخيرا، هذا ما أردت بيانه بهذا البحث. فأرجو أن يكون قد حالفني التوفيق والله وليّ وحسبي، وإلى وجهه- تعالى- تحدو الهمّة

(١) «مجالس العلماء» للزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض. ط الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص٧٦.

المصادر والمراجع

- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القطاع الصقلي، تحقيق أ.د. أحمد محمد عبد الدايم، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٩

- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلس، تحقيق وتعليق د. مصطفى أحمد النحاس، ط أولى، مطبعة المدني

- الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان

- الاشتقاق تأليف عبد الله أمين، ط أولى، ١٣٣٧٦ – ديسمبر ١٩٥٦، لجنة التأليف والترجمة والنشر

- الأصول في النحو لأبى بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق عبد الحسين القتلى، مؤسسة الرسالة

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. للشيخ كمال الدين أبى البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى النحوي، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي القاهرة

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك.تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧-١٩٦٧

- التعريفات لعلى بن محمد الجرجاني، طبعة وفهرسة محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني

- التعليقة على كتاب سيبويه لأبى على الحسن بن أحمد بن عبد

الغفار الفارسي تحقيق وتعليق د. عوض بن حمد القوزى،ط أولى، ١٤١٠-١٩٩٠

- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان

-دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب،تحقيق، د/أحمد ناجى القيسي، د.حاتم صالح الضامن،د. حسين نورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧

-سر صناعة الإعراب لأبى الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوى، دار القلم دمشق

-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصارى المصري عبد الله جمال الدين، تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الأنصار بالقاهرة

-شرح عيون الإعراب لعلى بن فضال المجاشعى، تحقيق ودراسة حسناء عبد العزيز القنيعير،ط أولى،١٤١٣- ١٩٩٣

-شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد السيرافى،ج٢،تحقيق أ.د. رمضان عبد التواب، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠، ج٣، تحقيق أ.د. رمضان عبد التواب، أ.د. محمد محمد مكي،ط أولى ١٤٢١-٢٠٠١،مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة والمخطوط ج١،فن(نحو) رقم ١٣٧ دار الكتب والوثائق المصرية.

- شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوي،

عالم الكتب بيروت.

- ظاهرة الاشتقاق فى اللغة العربية.د. طنطاوى محمد دراز، مطبعة عابدين ط ١٩٨٦م.

- الكتاب، كتاب سيبويه لأبى بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة للكتاب

- كتاب الأفعال لأبى بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية تحقيق على فودة، مكتبة الخانجى القاهرة، ط أولى ١٩٥٢

- كتاب الأفعال لأبى القاسم بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع- عالم الكتب ط أولى،١٤٠٣-١٩٨٣

- كتاب المقتضب لأبى عباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٨٦

- اللمع في العربية لأبى الفتح عثمان بن جني، تحقيق أ.د. حسين محمد محمد شرف، عالم الكتب، ط أولي ١٣٩٩-١٩٧٩.

- مجالس العلماء لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ودار الرفاعى بالرياض. ط الثانية، ١٤٠٣-١٩٨٣

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق وضبط وتعليق محمد أحمد جاد المولى. على محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابى الحلبي

- المصدر الصناعي في العربية. دراسة صرفية ودلالية من خلال مؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا للدكتور/ محمد عبد الوهاب شحاتة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

- المقرب لابن عصفور لعلى بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبورى، مطبعة العاني، بغداد، ط أولى ١٣٩١-١٩٧١.

- من أسرار اللغة تأليف د.إبراهيم أنيس، ط السادسة، ١٩٧٨،مكتبة الأنجلو المصرية.

- المنصف شرح أبى الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف لأبى عثمان المازني النحوي البصري،تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين.

- النحو الوافي تأليف عباس حسن، دار المعارف،ج ٣،ط السادسة.

المبحث الثالث:

أثر قرينة السياق في العدول الصرفي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة البحث:

العدل فى اللغة والاصطلاح كما عرفهما على بن محمد الجرجانى" العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفى الإفراط والتفريط. وفى اصطلاح النحويين خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى[١].

والعدل أو العدول ظاهرة لغوية تتحقق على جميع مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية.

فالعدول الصوتى مثل العدول عن مخرج الحرف إلى مخرج آخر مما يكون له تأثير صوتى دون الكتابة، كالعدول عن مخرج النون الساكنة إلى مخرج الميم وذلك في الإقلاب[٢] مثل قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾(البقرة: ١٥٩). والعدول الصرفي كالعدول عن حركة بناء فاء الكلمة أو عينها أو

---

(١) «التعريفات» لعلي بن محمد الجرجانى، ضبط وفهرسة محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ط أولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٦١.

(٢) الإقلاب: قلب النون الساكنة أو التنوين ميما مخفاه مع مراعاة الغنة وذلك إذا جاء بعدها باء.

العدول عن بنية صرفية إلى غيرها أو صيغة إلى صيغة مما تنظمه قواعد التصريف.

والعدول النحوي مثل العدول عن الرتبة بين أركان الجملة الأسمية أو الفعلية بالتقديم أو التأخير، والحذف أو الإثبات، والزيادة أو النقص، أو الفصل بين المتلازمين، أو مراوحة اللفظ بين التأنيث والتذكير[1]، مما يكون له تأثير في دلالات الأسلوب والتوطئة للعدول الأسلوبي في صورة المجاز عن طريق التشبيه والكناية والاستعارة.

والبحث يعنى بالعدول الصرفي، مدلوله، صوره، دواعيه اللغوية، ما يختلف فيه اللفظ المعدول إليه عن المعدول عنه في مسار الجملة، قواعد التوجيه التي يُستدل بها على العدول الصرفي، علاقة قرينة السياق اللغوي بالعدول الصرفي.

وقد أوليت هذه النقطة الأخيرة اهتماما كي أبرز أثر قرينة السياق في العدول عن البنية الصرفية لدواعي دلالية. وتخيرت بعض مواضع من القرآن الكريم كان لقرينه السياق اللغوي دور كبير في العدول عن بناء إلى غيره، وعرضت تفسير المفسرين ثم قدّمت المدلول الذي ترشحه قرائن السياق. والله أسأل التوفيق.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: «**خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم**» أ.د. تمام حسان، عالم الكتب. ط. أولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦، من ص ١٠٤: ١١٢.

الدلالة والسياق والعدول:

يحدد دلالة اللفظ اللغوى المعنى المعجمي الذى يمثله الجذر الثلاثى للكلمة، والمعنى الصرفى الوظيفي للبنية الصرفية كدلالة بناء(انغلق) على المطاوعة وكدلالة الصيغة الصرفية اسم الفاعل على الحدث وفاعله، والمعنى الوظيفي يحدد" وظيفة بنية الكلمة وعلاقاتها بما يجاورها من المعانى فى السياق"[١]

والسياق اللغوى هو" ما تمثله بنية التراكيب اللغوية بأصواتها وكلماتها وجملها وعباراتها"[٢]

ويتعدد المعنى الصرفى الوظيفي بتعدد السياقات فيما يسمى بالدلالات السياقية، يقول عبد القاهر الجرجانى(٤٧١هـ) موضحا أثر السياق فى المعنى" وأكثر ما يكون منهم هذا التسامح، أعنى قولهم أن(جعل) يكون بمعنى(سمّى) فى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾(الزخرف: ١٩،) فقد ترى فى التفسير أنّ(جعل) يكون بمعنى(سمّى)[٣].

---

(١) «البيان فى روائع القرآن» د. تمام حسان، عالم الكتب، ط الثانية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ١/٣٢.

(٢) «فصول فى علم الدلالة» د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط أولى، ٢٠٠٥م، ص١١٩.

(٣) «دلائل الإعجاز في علم المعاني» عبد القاهر الجرجاني، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، ط السادسة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م، ص٢٧٨.

ويري الدكتور إبراهيم أنيس أنّ دلالة الألفاظ تنقسم إلى أربعة أنواع: الدلالة الصوتية التى ترجع إلى تغير النغمة التى ينطق بها اللفظ مما يغير فى دلالتها. والدلالة الصرفية التى تحددها البنية والصيغ. والدلالة النحوية حيث تتعلق بنظام الجملة وعلاقات المفردات داخلها. والدلالات المعجمية أو الاجتماعية؛ إذ يجعل الدلالة المعجمية مساوية للدلالة الاجتماعية؛ لأن "المعاجم قديمها وحديثها يتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفا أساسيا تكاد توجّه إليها كل عنايتها. فلا غرابة إذن ألا يفرق بعض اللغويين بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية. وهذا ما ارتضيناه هنا أو قنعنا به. فكلما ذكرنا الدلالة المعجمية لا نعني بها سوى الدلالة الاجتماعية"[١].

والعدول عن البنية الصرفية إلى غيرها في سياق الكلام يؤنس بتغير دلالة المعنى؛ إذ إنّ" التغير يؤنس بالتغيير"[٢].والعدول "خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى"[٣].

صور العدول الصرفي:

تتعدد صور العدول الصرفي على ما أجمله فيما يأتي:

أ- العدول المطرد في أصل من الأصول الثلاثية للبنية الصرفية مما

---

(١) «**دلالة الألفاظ**» د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٨٠م،ص٥١.

(٢) «**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**» كمال الدين أبو البركات، مطبعة حجازي، القاهرة، مسألة ٤٨، ص٢١٥.

(٣) «**التعريفات**» ص١٦١.

يكون له تأثير صوتي وصورة كتابية. وهو عدول يخضع لقواعد التصريف المعهودة في باب الإعلال والإبدال، مثل الإعلال بقلب الواو أو الياء في مثل (صام يصوم) و(باع يبيع) همزة في اسم الفاعل (صائم) و(بائع). وإبدال تاء الافتعال طاء إذا سبقت بحرف من حروف الإطباق (الصاد. الضاد. الطاء. الظاء)في مثل (اصطاد)، طلبا للخفة والتناسب.

وكذلك العدول المطرد في فك إدغام الفعل المضعف عند الإسناد لضمائر الرفع المتحركة.

ب- العدول عن حركة البناء في فاء الكلمة أو عينها حملاً لها على غيرها من الأبنية، أو بقصد تقريب الحركة من مجاورتها في نفس الكلمة طلبا للمجانسة.

فمثال العدول عن حركة فاء الكلمة سواء أكانت فاء الكلمة مفتوحة أم مضمومة، مما جاء في الأسماء ما ذكره سيبويه: رِغيف، وشِعير، وفي الصفات لئيم وشهيد وسعيد ونحيف وبِخيل وبِئيس، بكسر أوائل الكلمات لمناسبة الياء[1].

وجاء في باب التصغير، قالوا في (بَيت) (بِييت) وفي (عَين) (عِيينة، قال أبو على الفارسي (٣٧٧هـ) " فكما كسرت الفاء من (عِيينة) ونحوه وإن لم يكن من أبنية التحقير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها،

(١) «الكتاب» لسيبويه أبي بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة للكتاب، ١٠٨/٤.

كذلك كسروا الفاء من (جيوب) ونحوها." [١]

فقد قرأ حمزة بن حبيب أبو عمارة (٨٠-١٥٦هـ) بكسر أوائل ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ (البقرة: ١٨٩:) [البِيُوت]، و﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١٠٩:) [الغِيُوب]، و﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١:) [جِيُوبهن]، و﴿شُيُوخًا﴾ (غافر: ٦٧:) [شِيُوخا]، و﴿وَعُيُونٍ﴾ (الحجر: ٤٥:) [وعِيُون][٢].

وورد أيضا العدول عن حركة بناء فاء الكلمة في باب جمع التكسير، وذلك في جمع (قوس) على (قِسي) قال أبو على الفارسي " ولم نعلم أحدًا ممن يُسْكَنُ إلى روايته حكي فيه غير ذلك ".[٣] ويقول " فإذا نسبت إلى (قِسِيّ) اسم رجل قلت (قُسويّ) فرددت الضمة التي هي الأصل." [٤]

وورد في أبنية الأفعال، حكي أبو على الفارسي في (شَهِدَ) (شِهِدَ) وفي (تَعِبَ) (تِعِبَ) [٥].

ومن العدول عن حركة البناء في عين الكلمة بتسكينها "كقولهم في كَلِمة كِلْمة، وفي كَبِد كَبْد لغة تميمية. وهم الذين يقولون في كَرُم كَرْم،

---

(١) «الحجة في علل القراءات السبع» لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق أ.د على النجدي ناصف، د. عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ٢/٢١٦.

(٢) السابق نفسه: ٢/٢١٤.

(٣) السابق نفسه: ٢/٢١٦.

(٤)السابق نفسه: ٢/٢١٦.

(٥)السابق نفسه: ٢/٢١٦.

وفي كُتُب كُتُب." [١]

ج- العدول إلى البدائل المعجمية، أي العدول عن اللفظ المعجمي إلى غيره، وسماه السيوطي (الإبدال) نظرًا لإبدال حرف مكان حرف أو أكثر، يقول " هو إقامة بعض الحروف مقام بعض. وجعل منه ابن فارس (فانفلق) في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ ﴾ (الشعراء: ٦٣)أي (انفرق) ولهذا قال: ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٣،) فالراء واللام متعاقبان. وعن الخليل في قوله تعالى: ﴿ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ ﴾ (الإسراء: ٥،) إنه أريد (فحاسوا) فجاءت الجيم مقام الحاء. وقد قرئ بالحاء أيضا وجعل منه الفارسي ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ ﴾ (ص: ٣٢؛) أي الخيل. وجعل منه أبو عبيدة ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ ﴾ (الأنفال: ٣٥؛) أي تصدِدَة." [٢]

ومنه العدول عن كبير إلى (كبّار) في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (نوح: ٢٢). ومنه: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (التين: ٢)عدل بها عن

---

(١) «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أ.د/ على النجدي ناصف، د/ عبد الحليم النجار، د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ١٤٣/١.

(٢) «الإتقان فى علوم القرآن» لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تقديم وتعليق د/ مصطفى ديب البُغا. دار ابن كثير- دمشق- بيروت- الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٩١٤/٢، ٩١٥.

(طور سيناء). وقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (الصافات: ١٣٠) المقصود (على إلياس)[١].

ومن العدول إلى البدائل المعجمية، العدول في جمع التكسير عن (ملاقح) إلى (لواقح) في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾(الحجر: ٢٢). قال بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) " أصله (ملاقح)؛ لأنه يقال ألقحت الريح السحاب، أي: جمعته". [٢]

ومنه ما ذكره سيبويه في المصادر تحت عنوان " باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل لأن المعنى واحد" وذلك مثل " اجتوروا تجاورا. وتجاوروا اجتوارا؛ لأن معنى اجتوروا وتجاوروا واحد. ومثل ذلك انكسر كسرا، وكُسِر انكسارا؛ لأن معنى كُسِر وانكسر واحد. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾(نوح: ١٧؛) لأنه إذا قال (أنبته) فكأنه قال (قد نبت). وقال عز وجل: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ (المزمل: ٨؛) لأنه إذا قال (تبتّل) فكأنه قال (بَتَل)." [٣]

إذ قد عدل بالمصادر عن أفعالها. وكذلك العدول عن (تكذيب) إلى

---

(١) «الأصول: دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. نحو. فقه لغة. بلاغة» د/ تمام حسان، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م، ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) «البرهان في علوم القرآن» للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢٨٣/٣.

(٣) «الكتاب» لسيبويه، ٨١/٤.

(كذّاب) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾(النبأ: ٢٨،) قال سيبويه: "أرادوا أن يجيئوا به على الـ(إفعال) فكسروا أوله وألحقوا الألف قبل آخر حرف فيه، ولم يريدوا أن يبدلوا حرفا مكان حرف ولم يحذفوا." [١]

وقد يعدل عن اللفظ المعجمي إلى غيره عن طريق العوض، قال سيبويه: "والعوض قولهم: زنادِقة وزناديق، وفرازنة وفرازين، حذفوا الياء وعوضوا الهاء. وقولهم: اسْطاع يسْطيع، وإنما هي أطاع يطيع، زادوا السين عوضا عن ذهاب حركة العين من (أفْعَلَ)". [٢]

وهذا السلوك اللغوي للعدول عن حركة إلى حركة، وعن حرف إلى حرف، وعن بنية إلى بنية تحكمه دواعٍ لغوية استجمعتها من كلام علماء اللغة.

الدواعي اللغوية للعدول الصرفي:

ثمة دواعٍ لغوية تهيئ للعدول الصرفي وتستدعيه، وهي:

أ- العدول طلبا للخفة، إذ السمت العام للأبنية في اللغة العربية أنها تنشد الخفة؛ لذلك امتنع في اللغة مجيء الأجوف اليائي والناقص اليائي في أبنية الأفعال على (فُعُل يَفْعُل)؛ لأنك " كنت تنتقل من الأخف إلى الأثقل". [٣]

---

(١) السابق نفسه، ٤/٧٩

(٢) السابق نفسه، ١/٢٥.

(٣) «شرح شافية ابن الحاجب» لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوى، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، ١/٧٦.

وكذلك لم يقولوا في القليل (قَلُلْت) كما قالوا في الكثير (كَثُرْت) بل قالوا (قَلّ. يقلُّ) كراهة للثقل." (١)

ب- توخي قوة اللفظ ووضوحه بالانتقال من الأضعف إلى الأقوى. قال مكي أبو طالب القيسي في عدول النص القرآني عن (تفاسحوا) إلى (تفسّحوا) في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا﴾ (المجادلة: ١١،) قال "وحسن الإدغام؛ لأنك تنقل الأضعف إلى الأقوى" (٢)

جـ- رد الفرع إلى الأصل: كالعدول عن (استحاذ) إلى (استحوذ) قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(النساء: ١٤١،) وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾(المجادلة: ١٩،) وفي «اللسان» (حوذ) " هذا الباب كله يجوز أن يتكلم به على الأصل، تقول العرب: استصاب واستصوب، واستجاب واستجوب.وهو قياس مطّرد عندهم."

د- رد بعض الأبنية إلى بعض. مثل ما كان وسطه " حرف حلق كفَخِذ يجوز فيه فَخْذٌ وفِخْذٌ و فِخِذ. وكذا الفعل (شَهِدَ)." (٣)

هـ- العدول لحمل الضد على الضد. مثل اسم الفاعل من (خشي)

---

(١) السابق نفسه: ١/٧٧، ٧٨.

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» لأبي محمد مكي أبي طالب القيسي، تحقيق د/ محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤- ١٩٧٤م، ٢/٣١٣. و(تفاسحوا) قراءة الحسن، و(تفسّحوا) بالتضعيف قراءة العامة.

(٣) «شرح شافية ابن الحاجب» ١/٣٩. وانظر أيضا: «الكتاب» لسيبويه، ٤/١١٣.

قيل (خاشٍ) والقياس (خشٍ)، قال الاستراباذي " وأما خشيته فأنا خاشٍ، والقياس خشٍ، فالأصل أيضا حشيت منه، فحمل على (رَحمته)، حمل الضد على الضد؛ ولهذا جاء اسم الفاعل منه على (خاشٍ) والقياس (خشٍ)؛ لأن قياس صفة اللازم من هذا الباب (فَعِل).وكذا كان قياس مصدره (خشىً) فقيل (خشيَة) حملا على (رحْمة) وكذا حُمل (ساخط) على (راضٍ) مع أنه لازم، يقال: سخط منه أو عليه." [١]

و- العدول بغرض المبالغة أي: " الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة "[٢]، ويوضح أبو الحسن على بن عيسى الرمّاني (٢٩٦هـ٣٨٦هـ) المقصود بها يقول: " المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة، وذلك على أبنية كثيرة منها (فعلان) ومنها (فعّال) و(فَعُول) و(مفعل) و(مِفعال). ففعلان كرحمن عدل عن (راحم) للمبالغة ولا يجوز أن يوصف به إلا الله –عز وجل- لأنه يدل على معنى لا يكون إلا له، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء. ومن ذلك (فعّال) كقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾(طه: ٨٢،) معدول عن (غافر) للمبالغة. وكذلك (توّاب) و(علاّم). ومنه (فَعُول) كغفور

---

(١) «شرح شافية ابن الحاجب» ٧٣/١

(٢) «النكت في إعجاز القرآن» لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني. ضمن كتاب بعنوان «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني» في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، بمصر، ط الثالثة، ص١٠٣.

وشكور وودود. ومنه (فَعِيل) كقدير ورحيم وعليم."[١]

وبعد هذا العرض، ثمة سؤال يطرح نفسه، هل ثمة ما يختلف فيه اللفظ المعدول إليه عن اللفظ المعدول عنه في سياق الجملة؟

أقول قد يختلف مسار اللفظ المعدول إليه عن اللفظ المعدول عنه في قبول بعض الوسائل اللغوية مثل أداة التعريف (ال). مثال عدم قبول الألفاظ المعدول إليها في باب الممنوع من الصرف من الأعداد التي على وزن مَفْعل وفُعال مثل (مثنى وثلاث ورباع) المعدولة عن (ثاني وثالث ورابع) وكذلك كملة (أخر) جمع (أخرى) مؤنث (آخَر)، و(عمر) المعدول بها عن (عامر) وذلك " في عدم دخول (ال) على الكلمات في موقع العلمية حيث المعدول الفرضي هذا لا تدخله الألف واللام. فحق علميته توازي حق تعريف شبيهه غير المعدول بـ(ال) "[٢]

مما سبق جميعه يمكن أن نستلخص قواعد التوجيه التي تحكم العدول الصرفي ويستدل بها عليه.

قواعد التوجيه للعدول الصرفي:

يمكن حصر قواعد التوجيه التي تمثل إطارا عاما في اللغة ينضبط بها ويستدل بها على العدول الصرفي.

---

(١) السابق نفسه: ص١٠٤.

(٢) «**الممنوع من الصرف وغرابة المسار**» (بحث ضمن مجموعة أبحاث بعنوان «**اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب**» أ.د/ أحمد كشك، مكتبة النهضة المصرية، ص٩٧.

أ- التحول أو التغير: إذ المسار اللغوي للعدول يظهر في تحويل صورة البنية بتغيير حركة بناء فاء الكلمة أو عينها، أو تغيير بعض حروفها بالإعلال أو الإبدال أو استبدال البنية الصرفية ببنية أخرى أو الصيغة بصيغة أخرى.

ب- المعاقبة أو الحلول: ومعاقبة الشيء غيره هي " حلوله محله وأداؤه لوظيفته." [١] إذ تعاقب الحركة الحركة،والحرف الحرف، والبنية البنية.

جـ- الاستغناء: إذ يُستغنى عن لفظ معجمي ببديل معجمي، كالاستغناء عن (وَدَعَ) بـ(ترك) يقول سيبويه: " وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء، فإنهم يقولون (يدع) ولا يقولون (وَدَعَ)؛ استغنوا عنها بـ (ترك). وأشباه ذلك كثير."[٢]

د- استبقاء الدليل: أي استبقاء دليل على المعدول عنه.وذلك مثل بناء (فَعِل) و(فَعُل) في الأفعال عند إسنادهما إلى ضمائر الرفع المتحركة فيقال في (خاف) و(طال) خِفت وطُلت بكسر أول بناء فَعِل وضم أول بناء فَعُل دليلا على المحذوف من البنية، يقول الاسترابادي:" وقالوا في فَعُل نحو طال فهو طويل (طُلْتُ) والضمة لبيان البنية لا لبيان الواو"[٣]، ويقول: "فقصدوا بعد حذفها إلى التنبيه على بنية كل واحد منها لما ذكرنا من أن بنية الفعل يُبقَّى عليها وتراعى بقدر ما يمكن."[٤]

---

(١) «خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم» ص٥٣.

(٢) «الكتاب» لسيبويه، ص١/٢٥.

(٣) «شرح شافية ابن الحاجب» ١/٨٠.

(٤) السابق نفسه.

قرينة السياق اللغوي والعدول الصرفي:

ثمة علاقة وطيدة بين العدول الصرفي ومتطلبات السياق اللغوي، وقد يُظنّ أن التغيير أو العدول الصرفي هو الذي يؤثر في دلالة السياق اللغوي، ولكن الأمر على عكس ذلك، إذ إن دلالات السياق اللغوي هى التى تُؤْثِرُ بناءً على بناءٍ؛ ذلك أن العدول الصرفي إذا كان مطردا فتحكمه القاعدة، وإذا كان طارئا فيحكمه السياق اللغوي.

فقد تتغير حركة بناء فاء الكلمة لمناسبة حركة ما قبلها في السياق اللغوي، مثل كسر فاء الكلمة في (ظِفْر) في قراءة السمّال[١]، وذلك لمناسبة الياء التي قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ (الأنعام: ١٤٦) قال ابن قتيبة محمد عبد الله بن مسلم " ظُفُرُ اليد بالضم ولا يقال ظِفْر ".[٢]

وقد تتغير حركة بنية الكلمة في السياق اللغوي لتتضمن معنى بنية لغوية أخرى[٣]، مثل الفعل (عَسِى) بكسر السين بمعنى (حَسِب)؛ إذ ذكر ابن مالك في شواهد التوضيح والتصحيح بابا تأتي فيه (عسى) بمعنى

---

(١) «إعراب القرآن» لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس، تحقيق د/ زهير غازى زاهد، عالم الكتب، ١٠٤/٢.

(٢) «أدب الكاتب» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق وتعليق محمد الدّال، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص٣٩٦.

(٣) التضمين: إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف..." «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، ٣٨٨/٣.

(حَسِب)، ومنه " قول أبي بكر لعمر – رضي الله عنهما- وما عَسِيتَهم أن يفعلوا بي"[١]، بمعنى: ما حسبتهم أن يفعلوا بي.

ويقول الأنباري: "والتنقل من معنى إلى معنى كثير في كلامهم"[٢].

وقد يؤثر السياق اللغوي العدول عن بنية قياسية على بنية غير قياسية لمراعاة الأشباه، كالعدول عن جمع التكسير القياسي (باب) على (أبواب) إلى (أبوبة) مراعاة لـ (أخبية) في قول تميم بن مقبل:

هتّـــاك أخبيـــــة ولاج أبوبـــــة

يخلـــط بالجـــدّ منـــه البـــرَّ واللينـــا

يقول ابن الشجري هبةالله بن علي: " جمع (الباب) على (أبوبة) لمكان (أخبية) ولو أفرد لم يقل (أبوبة). "[٣]ويقول ابن الشجري "... كما

---

(١) «**شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**» لابن مالك النحوي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص١٤٢. وانظر: توجيه كسر السين في قراءة نافع في قوله تعالى ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾(البقرة: ٢٤٦)في بحثي بعنوان «**موقف أبي حاتم السجستاني من القراءات القرآنية: عرض وتحليل ونقد**» إعداد د. منيرة محمد علي حجازي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ملحق العدد العاشر، ديسمبر٢٠٠٣م، ص٤٢:٣٩. وقد نشرت هذا البحث بنفس العنوان بمكتبة الثقافة الدينية عام ٢٠١٠م.

(٢) «**الإنصاف في مسائل الخلاف**» مسألة ٧٠، ص٢٩٥

(٣) «**أمالي ابن الشجري**» هبة الله بن علي بن محمد، تحقيق: أ.د/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١/٣٧٧.

قالوا: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، والغداة لا تجمع على الغدايا، وإنما أتبعوها (العشايا)، فإذا أفردوا لم يقولوا (غدايا). "[١]

فانظر إلى قول ابن الشجري: " لو أفرد لم يقل" و" فإذا أفردوا لم يقولوا"، إذ يوضح أثر السياق في العدول عن البنية الصرفية لمراعاة النظير داخل السياق اللغوي.

وقد يعدل عن لفظ معجمي إلى لفظ معجمي آخر مراعاة لدلالة سياقية معينة فيما سماه الزركشي " مشاكلة اللفظ للمعنى." [٢] فقد عدل عن لفظ (طين) إلى لفظ (تراب) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾(آل عمران: ٥٩)ولم تأت (من طين) كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾(ص: ٧١،) يقول الزركشي "إنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف؛ وذلك، أنه أدنى العنصرين وأكثفهما، لما كان المقصود مقابلة من أدعى ذلك، فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر"[٣]

وكلام الزركشي هذا ينقلنا إلى نقطة مهمة، وهي أثر الملابسات التي تحيط بالنص في ظاهرة العدول الصرفي، وهى ما سماها الدكتور تمام حسان بقرينة السياق اللغوي، يقول: "تمتد قرينة السياق على مساحة

---

(١) السابق نفسه: ٣٧٧/١، ٣٧٨.

(٢) «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، ٤٣٢/٣.

(٣) السابق نفسه.

واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية، كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث، وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية، مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحق، لأن الفرق بين الاستدلال بها على المعنى، وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية اللغوية كالبنية والإعراب والربط والرتبة والتضام الخ، هو فرق بين الاعتداد بحرفية النص والاعتداد بروح النص [1]

وقرينة السياق كما أوضحها النص السابق كان لها أكبر الأثر في إيثار القرآن الكريم لبعض الأبنية والإعراض عن غيرها مراعاة لما يحتويه النص القرآني من ملاح تاريخية أو نفسية أو عرفية أو عقدية.

وقد اخترت بعض المواضع من القرآن الكريم مما عدل فيها عن أبنية صرفية إلى غيرها؛ لأظهر من خلال تحليل النص القرآني لغويا قيمة القرائن السياقية في العدول عن بنية إلى غيرها.

أثر قرينة السياق اللغوي في العدول عن البنية الصرفية في القرآن الكريم:

لقرينة السياق اللغوي أثر كبير في العدول عن البنية الصرفية في القرآن الكريم إلى غيرها لتغير المعنى الدلالي المراد، طلبا لملمح معتنى به ومقصود.

---

(١) «البيان في روائع القرآن» د. تمام حسان ١/١٧٣.

العدول عن [خلقوا] إلى [خرقوا]:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(الأنعام: ١٠٠).

الفعل "خرقوا" فُسّر بمعنى اختلقوا، وافتروا، وتخرصوا، واشتقوا له:إذا كذبوا.قال أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(٢٠٧هـ) " وقوله (خرقوا) اخترقوا وخلقوا واختلقوا، يريد:افتروا." [١]

وقال الزمخشري أبو القاسم جاد الله محمد بن عمر الخوارزمي (٤٦٧-٥٣٨هـ) "وخرقوا له" وخلقوا له، أي افتعلوا له" بنين وبنات" وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير، وقول قريش في الملائكة. يقال: خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى.وسئل الحسن عنه فقال: كلمة عربية كانت العرب تقولها، كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم:قد خرقها والله، ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه، أي اشتقوا له بنين وبنات" [٢]

وفي البحر المحيط "قال قتادة ومجاهد وابن دريد وابن جريح: خرقوا

---

(١) «معاني القرآن» لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أ. محمد على النجار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط الثالثة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٣م، ٣٤٨/١.

(٢) «الكشاف عن حقائق التنزيل» للزمخشري أبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ٣١/٢، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق سالم مصطفى البدري، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ٣٦/٧

كذبوا"[١].

وأرى أن قرينة المشاكلة بين "خلقهم "و"خرقوا" تعيننا على القول بأن الفعل (خلقوا) عدل به إلى أقرب حرف لمخرج (اللام) وهو (الراء)إذ مخرجهما من طرف اللسان، ويتفقان في صفة انحراف اللسان عند النطق، فتخرج اللام بانحراف عن مخرجها إلى طرف اللسان، والراء فيها انحراف إلى ظهر اللسان وميل قليل إلى جهة اللام، وكلاهما صوت مجهور منفتح مستفل.

وعلة هذا العدول يوضحها اطراد استعمال السياق القرآني لمادة الفعل (خلق)، إذ لم تنسب مادة هذا الفعل في السياق القرآني إلا للذات العليّة، فإذا وردت منسوبة لغير الله-سبحانه وتعالى- فقد يسبقها النفي قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾(الأعراف: ١٩١،) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٣).

أو يأتي الفعل في سياق الاستفهام التقديري، مثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(الطور: ٣٦،) وقوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾(الرعد: ١٦)

أو أن يأتي الفعل دون نفي أو استفهام منسوبا إلى الإفك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾(العنكبوت: ١٧)

---

(١) «تفسير البحر المحيط» محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،دار الفكر، ط الثانية ١٣٩٨ه-١٩٧٨، ١٩٤/٤.

وقرينة السياق هنا قرينة عقدية منطقية تمنع وقوع الفعل (خلق) موقع (خرق) مما يعزز العدول عن حرف اللام إلى حرف الراء، للعدول عن بنية صرفية إلى بنية صرفية أخرى "خرقوا" لما فيها من فوات الجهد دون تحصيل، وما فيها من ضلال السعي، قال تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾(الكهف: ٧١،) واستعلاء لنسبة مادة (خلق) لغير الله – سبحانه وتعالى-.

العدول عن [أقسم لهما] إلى [وقاسمهما]:

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ (الأعراف: ٢١،) الفعل (قاسم) تقتضي بنيته المشاركة، تقول: قاسم فلان فلانا، أي اقتسما الشيء.

وقد جعل المفسرون (قاسم) بمعنى (أقسم)، قال الزمخشري "وقاسمهما أقسم لهما..كأنه قال لهما: أقسم لكما أني لمن الناصحين، وقالا له: أتقسم بالله أنك لمن الناصحين، فجعل ذلك مقاسمة بينهم" [(١)]

وقال محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي:"وقاسمهما:أي حلف لهما، يقال أقسم إقساما أي حلف." [(٢)]. وقال أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي (٦٥٤-٧٤٥هـ) "قال أبو عطية: وقاسمهما، أي حلف لهما، وهي مفاعلة؛ إذ قبول المحلوف له وإقباله على معنى اليمين

---

(١) «الكشاف» للزمخشري ٢/٥٧.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٧/١١٦.

كالقسم"[١] وقال أحمد بن محمد بن عماد ابن الهائم(٨١٥هـ) "وقاسمهما: أقسم لهما."[٢]

وثمة قرينتان في سياق الآية القرآنية، أحدهما ترجح أن ثمة عدولا عن الفعل (أقسم) إلى الفعل (قاسم)، والأخرى ترجح أن (قاسم) تضمن معنى (أقسم).

فالقرينة التى ترجح عدول النص القرآني عن بناء الفعل (أقسم) إلى الفعل (قاسم)قرينة لفظية تتمثل في حذف المقسم به (الله) من سياق الآية مما يرجح معنى المقاسمة في الفعل "قاسمهما" ويؤنسنا هنا كلام الزمخشري " قالا له أتقسم بالله أنك لمن الناصحين، فجعل ذلك مقاسمة بينهم" [٣]

وأقول إن النص القرآني لا يريد أن يقف عند حد مقاسمة اليمين، إنما يريد أن يقدم دلالة أعمق، إذ إن إبليس قاسمهما أيضا معصية الله- سبحانه وتعالى- لذلك عدل النص القرآني عن بناء(أقسم) إلى بناء (قاسم).

والقرينة التي ترجح أن "قاسمهما" بمعنى (أقسم لهما) قرينة لفظية

---

(١) «تفسير البحر المحيط» ٢٧٩/٤.

(٢) «التبيان في تفسير غريب القرآن» شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد المعروف بابن الهائم، تحقيق د.ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، ط أولى ٢٠٠٣م، ١٦٤.

(٣) «الكشاف» للزمخشري ٥٧/٢.

هى جواب القسم "إني لكما لمن الناصحين". وأقول إن هذه القرينة يمكنها في الوقت نفسه أن ترجح معنى (المقاسمة) وتكون الدلالة المطروحة في جواب القسم "إنى لكما لمن الناصحين"إمعان من النص القرآني في إظهار مدى تدليس إبليس وحيلته للتدليس عليهما، إذ يقاسمهما المعصية وهو يوهمهما بالقسم. ويكون حذف المقسم به (الله) تلميحا لمعنى المقاسمة وترجيحا لها.

ويؤنسنا في هذا الموضوع قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾(النمل: ٤٩،) فالفعل "تقاسموا" يفيد معنى (التقاسم)، ولكن القرينة اللفظية التي يحملها المقسم به (الله) رجحت معنى (القسم) حيث أبقاها النص القرآني لتسهم في ترجيح معنى (القسم)، على خلاف حذفه مع "وقاسمهما".

العدول عن [أعدَّت لهن] إلى [وأعتدت لهن]:

والفعل "أعتدت" في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾(يوسف: ٣١)أجمع المفسرون على أن "أعتدت" بمعنى أعدت وهيأت. لكن اختلفوا في أصل الفعل من (عتد)بضم التاء[1]، أو من (عدّ).

---

(١) في «اللسان» (عتد) "عتد الشئ عتادا فهو عتيد: جسم. وعتد الشئ عتادة فهو عتيد أي حاضر معد. ومنه سميت العتيدة وهي كالصندوق الصغير الذي يضع فيه المرء ما يعز عليه من متاع، ومنه عتيدة العرائس وفيه ما تحتاج إليه من طيب وأداة وبخور ومشط وغيره.".

قال الفراء: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾(يوسف: ٣١)يقال أعتدت لهن مجلسا "[١] وقال أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) "وأعتدت من العتاد، وهو كل شيء جعلته عدة لشيء"[٢].

وقال الراغب الأصفهاني الحسن بن محمد "العتاد ادخار الشئ قبل الحاجة إليه كالإعداد. والعتيد المُعِدّ والمُعَدّ..وقوله تعالى: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ (النساء: ١٨)قيل: هو أفعلنا من العتاد، وقيل: أصله أعددنا، وأبدل من إحدى الدالين تاء."[٣].

وقال أبو حيان: "وأعتدت لهن متكأ"، أي: يسرت وهيأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والمخاد والوسائد وغير ذلك مما يكون في مجلس أعد للكرامة"[٤]. وقال ابن الهائم "وأعتدت، أي أعدت من العتيد وهو المعد لهن"[٥].

وباستقراء آيات القرآن الكريم وجدت أن الفعل (أعد) يرد في مقام الإعداد لثواب عمل الخير والإعداد لجزاء عمل الشر، قال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾(الأحزاب: ٨،) وقوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٤٢/٢.

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس ٣٢٦/٢،٣٢٥.

(٣) «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصبهاني حسين بن محمد، تحقيق د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٤٨٢،٤٨١.

(٤) «تفسير البحر المحيط» ٣٠٢/٥، وانظر: «الكشاف» للزمخشري ٢٥٣/٢.

(٥) «التبيان في تفسير غريب القرآن» لابن الهائم ص١٩٦.

عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٥،) أما الفعل (أعتدت) فلم يرد في التنزيل العزيز إلا في مقام الإعداد للتعذيب، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾(النساء: ١٨)وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾(النساء: ١٥١،) وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ ﴾ (الكهف: ٢٩،) وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾(الفتح: ١٣،) وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾(الإنسان: ٤).

والفعل (أعتدت) في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾(يوسف: ٣١،) يتناسب مع هذا الاستعمال القرآني، إذ يصور مقصد إمرأة العزيز من استضافة صاحباتها، إذ لم تقصد إكرامهن إنما قصدت معاقبتهن والكيد لهن لما أشعنه عنها من شغفها بحب يوسف-عليه السلام- لذلك عدل النص القرآني عن بناء (أعد) إلى بناء (أعتد)؛ إذ إنها لم تعد لهن هذا المتكأ لإكرامهن، إنما أعتدته لمعاقبتهن على ما أشعنه عنها، وتكون القصة المعهودة قرينة سياقية تنهض بترجيح الدلالة التي رشحها اطراد الاستعمال القرآني لبناء (أعتد).

العدول عن [جاءها] إلى [فأجاءها]:

والفعل (أجاء) في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ (مريم: ٢٣).

جعله الفراء من (جاء بكذا) والهمزة فيه للتعدية قال:"فأجاءها

المخاض" من (جئت) كما تقول: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، فلما ألقيت الباء جعلت في الفعل ألفا، كما تقول:آتيتك زيدا، تريد: أتيتك بزيد. ومثله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾(الكهف: ٩٦)فلما ألقيت الباء زدت ألفا، وإنما هو ائتوني بزبر الحديد[١].

ويرى الفراء أن الفعل بمعنى (ألجأ) قال:"ومن أمثال العرب: شرُّ ما ألجأك إلى مُخّة عرقوب. وأهل الحجاز وأهل العالية يقولون: شر ما أجاءك إلى مخة عرقوب. والمعنى واحد. وتميم تقول: شر ما أشاءك إلى مخة عرقوب"[٢]

وجعل ابن قتيبة (أجاء) مطاوعة من(جاء) فذكر في باب (أفعلته ففعل) قال "أجأته فجاء"[٣]. ويذهب الراغب الأصبهاني إلى ما ذهب إليه الفراء أن الهمزة في (أجاء) همزة التعدية، لكنه لم ير أن الفعل بمعنى (ألجأ)، قال الراغب: "قيل ألجأها، وإنما هو معدى عن جاء"[٤].

وذكر الزمخشري أن الهمزة للنقل، وأنها غيرت تعدي ومعنى الفعل،

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١٦٤/٢، وانظر: «بهجة الأدب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب» على بن عثمان بن مصطفى المارديني التركماني، تحقيق مرزوق على إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٢م ص٢٥٧.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١٦٤/٢.

(٣) «أدب الكتاب» لابن قتيبة ص ٤٥٦.

(٤) «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصبهاني، ص١٤٦، وانظر: «التبيان في تفسير غريب القرآن» لابن الهائم، ص٢٢٣.

فتعدى اللازم منه للمفعول، والمتعدى لمفعول تعدى لمفعولين وصار معناه (الإلجاء)، قال:"أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء؛ ألا تراك تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد." [١].

وقد اعترض أبو حيان على كلام الزمخشري بأن تغيير معنى الفعل بعد دخول الهمزة عليه "يحتاج إلى نقل أئمة اللغة المستقرئين ذلك عن لسان العرب، والإجاءة تدل على المطلق، فتصلح لما هو بمعنى الإلجاء ولما هو بمعنى الاختيار." [٢]

ويعترض أيضا أبو حيان على قول الزمخشري "جئت المكان وأجاءنيه زيد" أنه لو كانت الهمزة للتعدية لكان المفعول الأول (المكان) هو نفس المفعول الثاني في (أجاءنيه) فلما وقع المفعول الأول مفعولا ثانيا "دل على أنه ليس على ما قاله." [٣]

*واعتراض أبي حيان على كلام الزمخشري وجيه في موضعه.وقد فسر القرطبي (أجاءها) بمعنى اضطرها، قال "أجاءها، اضطرها وهو تعدية (جاء) بالهمزة، يقال جاء به وأجاءه إلى موضع كذا، كما يقال: ذهب به وأذهبه" [٤]

ولو احتكمنا لقرينة السياق لوجدنا الفعل (جاء) يأتي لازما ويأتي

---

(١) «الكشاف» للزمخشري ٤٠٨/٢.

(٢) «تفسير البحر المحيط» ١٨٢/٦

(٣) السابق نفسه والصفحة.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن الكريم» للقرطبي ٦٣/١١.

متعديا إلى مفعول، تقول جاء المخاض إلى مريم، وجاءها المخاض. وربما تكون (جاء)و(أجاء) من باب فعل وأفعل بمعنى، ويكون الأسلوب القرآني آثر استعمال الفعل (أجاء) إذ يبدأ وينتهي بحرف الهمزة وهي حرف شديد انفجاري مجهور فيه حبسة للنفس عند مخرجها ثم انفراجة عند خروج الحرف. وهذه المعاناة في النطق تتجانس مع معاناة المخاض وانفراجة الولادة، وارتباط المعاناة الجسدية بالمعاناة النفسية لسوء موقفها -أي السيدة مريم عليها السلام- أمام قومها، وتكون بذلك قرينة الموقف المعروض في السياق اللغوي هي المرجح للعدول عن بناء (جاء) إلى (أجاء).

ويكون معنى جاءها أو أجاءها المخاض إلى جذع النخلة، أي عند جذع النخلة، وحرف الجر قسيم الظرف في مسمى (شبه الجملة)، ويتضمن كذلك معنى الظرف في بعض المواضع، تقول: اذهب إلى الشجرة أو تقول:اذهب عند الشجرة. قال سيبويه: " وأما (عن) فاسم إذا قلت: من عن يمينك؛ لأن من لا تعمل إلا في الأسماء"[1].

وللأمانة العلمية لم أجد أحدا من علماء العربية ذكر (جاء) و(أجاء) في باب فعل وأفعل بمعنى، ولا يمتنع أن يكون هذا الاستعمال خاصا بالقرآن الكريم وأنه من معجز ألفاظه لتصوير لحظات المعاناة، ويكون مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾(الأنفال: ٥٨،) إذ قال أبو جعفر

(١) «الكتاب» لسيبويه ٤/٢٢٨.

النحاس في "فانبذ إليهم على سواء " "هذا معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه." [١]

ولو تتبعنا سلوك السياق القرآني مع بناء (افتعل) ومضارعه (يفتعل) من منظور العدول، لوجدناه جديرا بإلقاء الضوء عليه.

إذ القياس في بناء (افتعل) إذا كانت (فاؤه) صادا أن يعدل عن التاء فتقلب طاء؛ لاستعلاء الصاد، مثل (اصتاد) تصير (اصطاد)، وهذا قياس مطرد غرضه التخفيف وهو فصيح. أما أن تقلب (التاء) صادا إذا كانت (عين) افتعل صادا فليس قياسا.

العدول عن [يختصون] إلى يخصِّمون]:

وقد ورد(يخصّمون) [٢] في قوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(يس: ٤٩).

وأرى أن علة العدول عن (يختصمون) إلى (يخصمون) توضحه دلالات السياق الواقع فيه الفعل، وذلك للعدول عن معنى المشاركة الذي

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس ١٩٢/٢.

(٢) (يخصّمون) بفتح الياء وكسر الخاء قراءة ابن عامر وعاصم والكسائي.
و(يَخَصّمون) بفتح الياء والخاء قراءة ابن كثير وأبى عمرو.
وقرأ نافع (يخْصّمون) ساكنة الخاء مشددة الصاد بفتح الياء.
وقرأ حمزة (يخصمون) ساكنة الخاء خفيفة الصاد.
انظر: «كتاب السبعة في القراءات» لابن مجاهد، تحقيق أ.د. شوقي ضيف، ط الثانية، دار المعارف، ص ٥٤١.

يتضمنه الفعل (يختصم)، والعدول عن انتظار رد فعل المخاصمة طلبا لاختزال الحدث، إذ حينما يدرك الكافرين عقابُهم فلا رد فعل للمخاصمة، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (يس: ٥٠،) وقال تعالى: ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾(النمل: ٨٥).

العدول عن [يختصفان] إلى [يخصفان]:

ومثل ذلك يقال في علة العدول عن (يختصفان) إلى (يخصِفان) بقلب التاء صادا وإدغام المثلين في قراءة الحسن والأعرج ومجاهد وابن وثاب[١] في قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾(الأعراف: ٢٢)إذ إن دلالات السياق ترشح اختزال الحدث حيث تصور سرعة وقوعه والتلهف على إتمامه.

قال الأخفش سعيد بن مسعدة "يخصِفان، جعلها من يختصفان، فأدغم التاء في الصاد فسكنت وبقيت الخاء ساكنة فحركت الخاء بالكسر لاجتماع الساكنين."[٢].

والقياس المطرد في باب الإبدال إذا كانت (فاء) افتعل دالا أن تقلب تاء الافتعال دالا مثل (ادتعى) تصير (ادّعى)بإدغام المثلين، أما أن تقلب

---

(١) «تفسير البحر المحيط» ٤/٢٨٠.

(٢) «معاني القرآن» للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير أمين الورد، عالم الكتب، ط أولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م،٢/٥١٥.

تاء افتعل دالا إذا كانت (عين) الفعل دالا، فليس قياسا.

العدول عن [يهتدي] إلى [يهدِّي]:

وقد ورد في الفعل (يهتدي) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾(يونس: ٣٥)(يهدِّي) بقلب التاء دالا ثم إدغام المثلين[١].

وعلة هذا العدول ترشحه دلالات السياق اللغوي؛ ذلك للعدول عن معنى الهداية واستعلاء لذكر لفظ (يهتدى) في مقام الضلال عن الطريق الحق[٢].

---

(١) (يهدى) مفتوحة الياء والهاء مشددة الدال قراءة ابن عامر وابن كثير.

و"يهدى" بإسكان الهاء وتشديد الدال قراءة أبي عمرو ونافع.

وقراءة حمزة والكسائي "يهدى"ساكنة الهاء خفيفة الدال.

انظر: «**كتاب السبعة**» لابن مجاهد ص ٣٢٦، و«**الكشف عن وجوه القراءات**» ٥١٨/١-٥١٩.

أما "يهدى"بفتح الياء وكسر الهاء و الدال المكسورة المشددة فقراءة حفص ويعقوب والأعمش عن أبي بكر وقال أبو حاتم هي لغة سفلى مضر، انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» للقرطبي ٢١٨/٨.

(٢) عزا أستاذنا الدكتور تمام حسان علة العدول عن يختصمون إلى يخصمون، ويهتدى إلى يهدى إلى علة صرفية قال –بتصرف–: الخاء في (يختصمون) والهاء في (يهتدي) ساكنتان، والحرف الساكن حاجز غير حصين فنقلت حركة تاء الافتعال إلى الساكن الصحيح قبلها فالتقى متقاربان التاء والصاد، والتاء والهاء فأبدلت التاء من جنس ما يجاورها وأدغم المثلان. انظر: «**خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم**» ص ٤٦ – ٤٧.

تعانق العدول والتخصيص في الاستعمال القرآني للأفعال [تلا]، [رتّل]، [قرأ]:

وفي ملمح آخر ومسار جديد للعدول في القرآن الكريم، يتعانق فيه العدول والتخصيص معا ليبرز شرف المعدول إليه وخصوصيته، وذلك في مادة الأفعال (تلا) و(رتّل) و(قرأ). فمادة هذه الأفعال ارتبطت في السياق القرآني بذكر كلام الله -سبحانه وتعالى-وباستقراء آيات الذكر الحكيم، وجدت أن مادة الفعل (تلا) وردت لتعبر عن تلاوة القرآن وتلاوة الكتب السماوية الأخرى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾(آل عمران: ٥٨،) وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾(آل عمران: ١١٣)

بينما خُصَّ القرآن الكريم بمادتي الفعلين (رتّل) و(قرأ) دون الكتب السماوية الأخرى. فمما ورد في مادة الفعل (رتّل)قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (الفرقان: ٣٢،) وقوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾(المزمل: ٤.)

ومما ورد في مادة (قرأ) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾(الأعراف: ٢٠٤،) وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ (الإسراء: ١٠٦). هذا إذا استثنينا موضعا واحدا يخاطب فيه الله -سبحانه وتعالى- رسوله محمد ﷺ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾(يونس: ٩٤).

ويبقى السؤال، لِمَ عدل النص القرآني عن مادتي الفعلين (رتَّل) و(قرأ) مع الكتب السماوية دون القرآن الكريم إذ خصه بهما، وعمم مادة الفعل (تلا) مع الكتب السماوية جميعا؟

أقول: الفعل(تلا) له عدّة دلالات تتعدد بتعدد السياق[١] منها معنى (يتبع) قال ابن قتيبة/ عبد الله بن مسلم (٢١٣- ٢٧٦هـ)" تلوت القرآن فأنا أتلوه تِلاوة[٢]، وتلوتُ الرجل تبعْتُهُ، فأنا أتلوه تُلُوّا[٣].

وقال أبو بكر السجستاني(٣٣٠هـ) فى تفسير " تتلو" فى قوله تعالي: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ (يونس: ٦١،) " تقرأ وتتلو وتتبع

---

(١) فى «اللسان» (تلا) بأصل واوى " تلوتُهُ أتلوه وتلوت عنه تلوا كلاهما خذلته وتركته، وتلا عنى يتلو تلوا إذا تركك وتخلف عنك " وثمة(تلي) أصلها يائي، ففى «النوادر» لأبي زيد الأنصاري ص٥٤٦- ٥٤٧، ويقال: تليت للرجل عندى= =تُلاوة من حقه، أى بقيت ويقال: تلا من الشهر كذا وكذا، أي بقي منه، فهو يتلي تلي، وفى «اللسان» (تلا) وتليت لي من حقي تلية وتلاوة أى بقيت بقية.

(٢) تِلاوة بكسر التاء مصدر تلا بأصل واوى معناه تبع و(تُلاوة) بضم التاء مصدر(تلي) بأصل يائى بمعنى بقي. هذا ما اتفقت عليه المراجع اللغوية التى رجعت إليها. لذلك يكون ما ورد فى كتاب «المفردات فى غريب القرآن» للراغب الأصبهانى ص٩٩ من باب الخطأ، إذ ورد " تلي: تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها... ومصدره: تُلُوّ وتِلْوّ، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى ومصدره: تِلاوة" فهذه مصادر الفعل(تلا) بأصل واوى، وليست مصادر الفعل (تلى) المعتل الآخر بالياء.

(٣) «أدب الكاتب» لابن قتيبة ص٣٣٥.

أيضا"[١] وفى اللسان (تلا) " وتلوته تُلُوا: تبعتُهُ"، و" تلوت القرآن تِلاوة: قرأته"

وفسَّر ابن التركمانى/ على بن عثمان بن مصطفى المارديني(٧٥٠هـ) معنى " تَتْلو" فى قوله تعالي: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ (البقرة: ١٠٢،) بمعنى ترويه [٢]وفسَّرها ابن الهائم بمعنى " تقرأ، وتتلو: تتبع أيضا: قال ابن عباس.. معنى تَتْلُو تقُصُّ، وقيل: من التِّلاوة. وقال قتادة: معناه تتبع من التَّلْو"[٣].

فإذا اتَّفق المفسرون على أن دلالة الفعل (تلا) في القرآن الكريم تدور حول معنى الاتّباع، فإن هذه الكتب السماوية جميعا يتلو ويتبع بعضها بعضا، وتنعطف معانيها في دائرة واحدة متصلة الأطراف هي كلام الله - سبحانه وتعالى- وتدور أوامره ونواهيه وجذور معانيه في فلك واحد. لذلك عمّم النّص القرآني استخدام مادة (تلا) مع الكتب السماوية كلِّها إيماء لتعاقبها مع وحدة هدفها ومغزاها.

قال الراغب الأصبهاني "والتِّلاوة تختص باتّباع كتب الله المنزَّلة: تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهى وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك. وهو أخصُّ من القراءة. فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة

---

(١) «غريب القرآن على حروف المعجم» لأبي بكر محمد بن عزيز السجستانى، دراسة وتحقيق: أحمد عبد القادر صلاحية. دمشق، ص ١٤٨.

(٢) «بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب» ص١٠٥.

(٣) «التبيان فى تفسير غريب القرآن» لابن الهائم، ص ٨٧-،ص١٨٧.

تلاوة."[١]

لذلك فُسّر قوله تعالي: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾(الشمس: ٢،)" أراد بها ههنا الاتّباع على سبيل الاقتداء والمرتبة؛ وذلك أنه يقال: إن القمر هو يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة"[٢]

فكل الكتب السماويّة تقتبس نورها من نور كلام مالك الملك والقرآن يخلفها يتلوها ويختمها؛ لذلك عمم النص القرآني مادة الفعل (تلا) مع الكتب السماوية جميعا.

أمّا مادة الفعل (رتّل) فقد اجمع المفسّرون على أنّها بمعنى الاتساق والتبيين في النص القرآني.

قال أبو بكر السجستاني فى تفسير قوله تعالي: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾(المزمل: ٤): "الترتيل فى القراءة التبيين لها كأنه لا يصلُ بين الحرف والحرف، ومنه قيل: ثغرٌ رَتَلٌ إذا كان مُفلّجا لا يركب بعضه بعضا" [٣]

وقال الراغب الأصبهانى: " الرَّتل: اتساق الشيء وانتظامه على

---

(١) «المفردات فى غريب القرآن» للراغب الأصبهاني، ص١٠٠.

(٢) السابق نفسه.

(٣) «غريب القرآن» لأبي بكر السجستانى، ص ٢٠٦. وانظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة ص٥٣٤، «بهجة الأريب» ص٢٤٧، «التبيان فى تفسير غريب القرآن» لابن الهائم، ص٣٣٥.

استقامة... والترتيل إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة "[١]

وفى اللسان(رتل) " ورتَّل القرآن: أحسن تأليفه وأبانه وتمهّل فيه. والترتيل فى القرآن الترسُّل فيها والتبيين من غير بغي.

فدلالات هذا الفعل تُعنى بالأداء الصوتي. وإذا كان القرآن قد خُصّ بمادة (رتَّل) دون غيره من الكتب السماوية وعدل عن استعمالها مع غيره فهذا تلميح بتفرد القرآن الكريم بالأداء الصوتى، سماعا وتلقينا وحفظا. وهذا الأداء الصوتي بكيفيته المتواترة عن رسول الله ﷺ يُعدُّ لبّ علم التجويد الذى خُصَّ به أداء الكتاب الخاتم، فلله الحمد والمنّة على هذه النّعمة[٢].

أما مادّة الفعل (قرأ) فمعناه الجمع والضمّ، قال ابن هشام اللخمى/ محمد بن أحمد بن هشام (٥٧٧هـ) " أصل قرأت: جمعت" [٣]

وفى اللسان (قرأ): قرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا".

---

(١) «المفردات فى غريب القرآن» ص٢٧٣.

(٢) إضافة: ورد الفعل(رتل) فى مزامير داود - عليه السلام - بمعنى (المناجاة. ففى المزمار الخامس والستين" هللوا لله يا كافة الأرض. رتلوا لاسمه"، " فلتسجد لك الأرض كلها وليرتلوا لك. وليترنموا لاسمك. وفى المزمار السبعين" أرتل لك بقيثار و" تبتهج شفتاى إذا ما رتلت لك")

(٣)شرح الفصيح لابن هشام اللخمي، دراسة وتحقيق د/ محمد عبيد جاسم، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الآثار والتراث، سلسلة دار صدّام للمخطوطات، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، ص٩٥.

ويحمل المفسرون تسمية كتاب الله المنزّل على محمد -ﷺ- بالقرآن على دلالة الفعل" قرأ". قال أبو بكر السجستاني: "اسم كتاب الله خاصة لا يسمى به غيره، وإنما سمّي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها"[١] ويقول أيضا: " ويكون القرآن مصدرا كالقراءة" ويقال: فلان يقرأ قرآنا حسنا، أى قراءة حسنة"[٢]

وأقول إن مادَّة(قرأ) ومصدرها قرآن[٣] لا تقف دلالتها عند جمع وضمّ السور القرآنية فقط، إنما القرآن جامع أصول العقيدة وأحكام الشرائع والعبادات وأخبار السابقين وأنباء اللاحقين، ما تضمّن وما زاد عمّا حوت الكتب السماوية الأخرى؛ لذلك خُصَّ القرآن بهذه المادَّة دون غيره من الكتب السماوية، فهو الجامع الخاتم. ولا أقول حوى كل كلام الله " ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾(لقمان: ٢٧.)

---

(١)غريب القرآن لأبي بكر السجستاني، ص ٢٩٢.

(٢) السابق والصفحة، وانظر بهجة الأريب لابن التركماني، ص١١٦، التبيان فى تفسير غريب القرآن لابن الهائم، ص١٠٢.

(٣)[روى عن الشافعي-ﷺ- أنه قرأ القرآن على إسماعيل قسطنطين، وكان يقول (القران) اسم ليس مهموزًا ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل" اللسان (قرأ)].

ملخص البحث والنتائج

عنى البحث بالعدول الصرفي، مدلوله صوره، دواعيه اللغوية، ما يختلف فيه اللفظ المعدول إليه عن المعدول عنه في مسار الجملة، قواعد التوجيه التي يُستدل بها على العدول الصرفي، علاقة قرينة السياق اللغوي بالعدول الصرفي.

وقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

– تتعدد صور العدول الصرفي، بين العدول المطرد في أصل من الأصول الثلاثية للبنية الصرفية مما يكون له تأثير صوتي وصورة كتابية كالإعلال والإبدال. والعدول عن حركة البناء في فاء الكلمة أو عينها حملاً لها على غيرها من الأبنية بقصد تقريب الحركة من مجاورتها في نفس الكلمة طلبا للمجانسة، مثلما يقال في (لئيم) (لِئيم). أو العدول إلى البدائل المعجمية كالعدول عن (فحاسوا) إلى " فجاسوا" في قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾(الإسراء: ٥).

– ثمة دواعٍ لغوية تؤدي إلى العدول الصرفي تتلخص في:

العدول طلبا للخفة، توخي قوة اللفظ ووضوحه بالانتقال من الأضعف إلى الأقوى، رد الفرع إلى الأصل، رد بعض الأبنية إلى بعض، حمل الضد على الضد، العدول للمبالغة.

– ثمة قواعد توجيهية يستدل بها على العدول الصرفي مثل:

التحول أو التغير، إذ المسار اللغوي للعدول يظهر في تحويل صورة

البنية.

المعاقبة أو الحلول، إذ يعاقب البناء البناء، والحرف الحرف، والحركة الحركة.

- الاستغناء، إذ يستغنى عن لفظ معجمي ببديل معجمي.

- استبقاء الدليل، وذلك باستبقاء دليل على المعدول عنه، كاستبقاء الضمة في (طُلْتُ) لبيان البنية (طول).

- ثمة علاقة وطيدة بين العدول الصرفي ومتطلبات السياق اللغوي، فقد تتغير حركة البناء في فاء الكلمة، لمناسبة ما قبلها في السياق مثل كسر فاء الكلمة في (ظفر) في قراءة السمَّال لمناسبة الياء قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾(الأنعام: ١٤)(٦). وقد تتغير حركة بنية الكلمة في السياق اللغوي لتتضمن معنى بنية لغوية أخرى مثل (عَسِى) بكسر السين بمعنى (حَسِب). أو العدول عن بنية قياسية إلى بنية غير قياسية لمراعاة الأشباه داخل السياق، مثل العدول عن (أبواب) جمع (باب) إلى (أبوبة) لمناسبة (أخبية) في قول تميم بن مقبل:

هتـــــاك أخيـــــــة ولاج أبوبـــــــة

يخلـــط بالجـــدّ منـــه البـــرَّ واللينـــا

أو العدول عن لفظ معجمي إلى لفظ معجمي آخر مراعاة لدلالة سياقية معينة كالعدول عن (طين) إلى (تراب) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾(آل عمران: ٥٩،) لنفي الألوهية عن عيسى – عليه السلام-؛ لأن التراب أدنى العنصرين.

- لقرينة السياق أثر كبير في العدول عن البنية الصرفية إلى غيرها في القرآن الكريم؛ ذلك أنّ العدول الصرفي إذا كان مطردًا فتحكمه القاعدة، وإذا كان طارئا فيحكمه السياق اللغوي.

وذلك كعدول النص القرآني عن(خلقوا له) إلى " خرقوا له" في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾(الأنعام: ١٠٠)احتراسا من نسبة مادة (خلق) لغير الذات العلية.

والعدول عن (أقسم لهما) إلى " قاسمهما" في قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ (الأعراف: ٢١،) لترجيح دلالة المقاسمة في اليمين وفي معصية أوامر الله.

والعدول عن (أعدّت) إلى " أعتدت" في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾(يوسف: ٣١،) لارتباط الفعل (أعتدت) في السياق القرآني بالوعيد.

والعدول عن الفعل (جاء) إلى (أجاء) لتجسيد معاناة الولادة والمعاناة النفسية في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾(مريم: ٢٣.)

والعدول عن (يختصمون) إلى ﴿يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(يس: ٤٩،) والعدول عن "يختصفان" إلى ﴿يَخْصِفَانِ﴾ (الأعراف: ٢٢)- في قراءة الحسن والأعرج ومجاهد وابن وثاب- لاختزال الحدث. والعدول عن (يهتدي) إلى ﴿يَهِدِّيٓ﴾(يونس: ٣٥)استعلاء عن ذكر لفظ (يهتدي) في مقام الضلال عن الطريق الحق.

- يعانق العدولُ التخصيص في استعمال السياق القرآني لمادتى

الفعلين (رتل، قرأ)، إذ ارتبطا بذكر آيات القرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية وذلك في سياق النص القرآني كله مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (الفرقان: ٣٢،) وذلك تلميحاً لتفرد القرآن الكريم بالأداء الصوتى بكيفيته المتواترة عن رسول الله-ﷺ - مما يعدُّ لبّ علم التجويد، وذلك في الفعل (رتل) أما الفعل (قرأ) فدلالته المعجمية تعني (الجمع)، ولا تقف دلالته عند جمع وضم سور القرآن الكريم، إنما خصّ به وعدل عن استعماله لغيره من الكتب السماوية تلميحا لكونه الكتاب الخاتم الذي جمع وحوى ما تضمنته الكتب السماوية وزاد عليها، ففيه القول الفصل في أصول العقيدة وأحكام الشرائع وأخبار السابقين وأنباء اللاحقين قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ (الإسراء: ١٠٦).

وذلك على خلاف الاستعمال القرآني للفعل (تلا)، إذ يعبر عن تلاوة القرآن وتلاوة غيره من الكتب السماوية ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾(آل عمران: ١١٣،) وقد أجمع المفسرون على أن دلالته في السياق القرآني تدور حول (الاتّباع)، وذلك تلميحا لكون هذه الكتب السماوية جميعها يتلو بعضها بعضا وتنعطف معانيها في دائرة واحدة متصلة الأطراف بكلام الله -سبحانه وتعالى- لذلك استخدم السياق القرآني مادة (تلا) مع الكتب السماوية كلها إيماء لتعاقبها مع وحدة الهدف والمغزى.

المصادر والمراجع

– الإتقان فى علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تقديم وتعليق د/ مصطفى ديب البُغا. دار ابن كثير- دمشق- بيروت- الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

– أدب الكاتب: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق وتعليق محمد الدّال، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

– الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. نحو. فقه لغة. بلاغة، د/ تمام حسان، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

– إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس، تحقيق د/ زهير غازى زاهد، عالم الكتب.

– أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد، تحقيق: أ.د/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

– الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبو البركات، مطبعة حجازي، القاهرة.

– البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

– بهجة الأدب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، على بن عثمان بن مصطفى المارديني التركماني، تحقيق مرزوق على إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.

– البيان فى روائع القرآن، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط الثانية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

– التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد المعروف بابن الهائم، تحقيق د. ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، ط أولى، ٢٠٠٣م.

– التعريفات، لعلي بن محمد الجرجانى، ضبط وفهرسة محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ط أولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

– تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،دار الفكر، ط الثانية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

– الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق أ.د على النجدي ناصف، د. عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

– خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، أ.د. تمام حسان، عالم الكتب، ط أولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦.

– دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٨٠م.

– شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوى، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

– شرح الفصيح لابن هشام اللخمي، دراسة وتحقيق د/ محمد عبيد جاسم، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الآثار والتراث، سلسلة دار صدّام للمخطوطات، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

– شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك النحوي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– غريب القرآن على حروف المعجم، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، دراسة وتحقيق: أحمد عبد القادر صلاحية. دمشق.

– فصول فى علم الدلالة، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط أولى، ٢٠٠٥م.

– الكتاب، سيبويه أبو بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة للكتاب.

– كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، ط السادسة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

– كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق أ.د. شوقي ضيف، ط الثانية، دار المعارف.

– كتاب النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط أولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

– الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري أبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت لبنان.

– الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي أبي طالب القيسي، تحقيق د/ محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤- ١٩٧٤م.

– لسان العرب، لجمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، دار المعارف.

– المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أ.د/ على النجدي ناصف، د/ عبد الحليم النجار، د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

– مزامير داود- عليه السلام- طبعة رومية، طبقا للنسخة القديمة المطبوعة، ١٨٩٦م، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة.

– معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير أمين الورد، عالم الكتب، ط أولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م.

– معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أ. محمد على النجار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط الثالثة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني حسين بن محمد، تحقيق د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية.

– الممنوع من الصرف وغرابة المسار (بحث ضمن مجموعة أبحاث بعنوان (اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب)أ.د/ أحمد كشك، مكتبة النهضة المصرية.

– موقف أبي حاتم السجستاني من القراءات القرآنية، عرض وتحليل ونقد، إعداد د. منيرة محمد علي حجازي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ملحق العدد العاشر، ديسمبر٢٠٠٣م.

– النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني. ضمن كتاب بعنوان (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني) في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، بمصر، ط الثالثة.

المبحث الرابع:

التماسك النصي في قصيدة إيليا أبي ماضي «وطن النجوم»

تمهيد:

أسرني الموقف الإنساني الذي تحمله قصيدة «وطن النجوم»[١] إذ ينزع فيها رجل جاوز الخمسين من عمره إلى حضن الرضاع الذي فُطم عنه، ومهد الطفولة الذي ضاع منه، وتراب الوطن الذي حُرِمه، يناجيه، يستنطقه، يزيل آثار الزمان التي شقت طريقها على ملامح وجهه ويقدم نفسه لوطنه فى موقف حواري بعد أن اتسعت بينهما المسافات الزمنية،

إذ ترك إيليا ظاهر أبو ماضي(١٨٨٩م، أو ١٨٩٠، أو ١٨٩٣م-١٩٥٧م)[٢] لبنان مسقط رأسه وموطن طفولته إلى مصر التي عاش فيها من عام ١٩٠١م إلي عام ١٩١٢ فكانت موطن شبابه، ثم عاد إلي لبنان عدة أشهر ثم هاجر إلى ولاية أوهايو بأمريكا الشمالية عام ١٩١٢م فكانت موطن تثقفه، ثم إلى نيويورك عام ١٩١٦م [٣] فكانت موطن عمله. ولم يعد إلى لبنان إلا بعد حوالي ست وثلاثين عاما قدم إليه عام ١٩٤٨ مع

---

(١) القصيدة ضمن مجموعة شعرية جمعها أصدقاء الشاعر بعد وفاته فى ديوان بعنوان «تبر وتراب» (دار العلم للملايين- بيروت- ط- الثانية ١٩٦١م) ص٧، وزهير ميرزا، «**ديوان إيليا أبي ماضي شاعر المهجر الأكبر**» (دار الدعوة)ص٧٣٦: ٧٣٨.
وحجر عاصي: شرح ديوان إيليا أبي ماضي شاعر الإنسانية والحياة، (دار الفكر العربي، بيروت)ص٣٩٦، ٣٩٧. **وقد أرفقت القصيدة بمؤخرة البحث ليسهل الاطلاع عليها.**

(٢) عبد العليم القباني: «**إيليا أبو ماضي، حياته وشعره**» بالإسكندرية ١٩٠١م-١٩١١م(الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤) ص٢٧.

(٣) «**شرح ديوان إيليا أبي ماضي شاعر الإنسانية والحياة**» ص٢٠.

الأستاذ حبيب مسعود رئيس تحرير مجلة(العصبة) فى البرازيل، كممثلين لصحافة المهجر فى مؤتمر الأونيسكو [١]

وكما قيل" أحق البلدان بنزاعك إليه بلدٌ أمصّكَ حَلَبَ رَضاعِه" [٢]. وقيل" فطرة الرجل معجونة بحب الوطن" [٣] لذلك قال بُقراط"يُداوى كلّ عليل بعقاقير أرضه، فإنّ الطبيعة تتطلع لهوائها، وتنزع إلي غذائها" [٤]

(١) عبد اللطيف شرارة، «**إيليا أبي ماضي دراسة تحليلية**» (دار صادر، بيروت)ص١٧.

(٢) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ «**رسائل الجاحظ**» تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،(مكتبة الخانجي، القاهرة) ٣٨٦/٢.

(٣) «**رسائل الجاحظ**» ٣٨٧/٢.

(٤) «**رسائل الجاحظ**» ٣٨٧/٢.

مقدمة البحث

تعددت الدراسات النصية Textuality studies، بين دراسات تقدم معايير علم النص وحدوده بحثا عن توجه جديد للدراسات اللغوية في تراثنا العربي يجمع بين نحو الجملة ونحو النص. وبين دراسات تبحث عن هوية لعلم النص في تراثنا العربي، ودراسات تحاول تطبيق المعايير التي تعارف عليها مؤصلو هذا العلم على نصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف ونصوص أدبية.

وهذه دراسة نصية تطبيقية لنص شعري من خلال عنصريّ السبك Cohesionوالحبك Coherence من معايير النصية التي حدّدها كل من روبرت دي بوجراند، وولفجانج. أ.دريسلر[1].

السبك:

السبك يعني الترابط النحوي grammatical cohesion بين أجزاء النص عن طريق وسائل الربط اللغوي المختلفة على مستوى ظاهر النص.

وقد تعددت وسائل التماسك التي يشكلها السبك عند الباحثين:

إذ حصر هالداي ورقية حسن أدوات التماسك

---

(١) د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل محمد «مدخل إلي علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج ا. درسلر» (الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩م) ص١١.

النصي- في الإنجليزية- في (المرجعية) [١] reference، و(الاستبدال) [٢] Substitution، و(الحذف) [٣] ellipsis. والربط [٤] Conjunction و(التماسك اللفظي) أو (المعجمي) [٥] lexical cohesion.

وأضاف الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف (الموقع الإعرابي) و (الحالة الإعرابية) و(العلامة الإعرابية) [٦].

وأضاف الدكتور صلاح فضل روابط بلاغية مثل: التجسيد والتجريد والتعميم والتضاد. [٧]

والنص اللغوي لا يحتمل كل هذه الروابط، إنما لكل نص خصوصيته ووسائله اللغوية والفنية، حيث يقدم مجموعة من الروابط تحقق له فرديته بين غيره من النصوص.

---

(١) M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hassan، Cohesion in English (Longman Group ltd 1976) P.31.

(٢) Cohesion in English. P.88.

(٣) Cohesion in English. P. 142.

(٤) Cohesion in English. P. 226.

(٥) Cohesion in English. p. 274.

(٦) أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف «بناء الجملة العربية» (دار الشروق- مصر ط أولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٢م) ص ٧٨، ٧٩.

(٧) أ.د. صلاح فضل «بلاغة الخطاب وعلم النص» (سلسلة عالم المعرفة عدد ١٦٤. الكويت. أغسطس ١٩٩٢) ص٢٦٢.

وقد تخيرت من هذه الوسائل ما أتاحه النص المدروس، وعالجتها في إطار أدبي يُعنى بإبراز الدلالات المطروحة في النص دون العناية بالكم العددي لوسيلة الربط لعدم ثقل العمل بما لا جدوى منه.

وأوليت وسائل السبك التي طرحها هالداي ورقية حسن عناية خاصة في محاولة تطبيقية لمفهوم تلك الوسائل عندهما على نص إيليا أبي ماضي مع مراعاة الفروق اللغوية بين الإنجليزية والعربية.

هذا بالإضافة إلى تحقيق وسيلة الربط (الموقع الإعرابي) التي قامت في النص مقام الرابطة العطفية.

ولم أهمل رابطة الإيقاع الموحَّد على مستوى النص من خلال الوزن والقافية، كذلك التوافق التقسيمي بين الألفاظ والتراكيب.

ووجدت من بين (الوسائل اللغوية) وسيلة تمثل العمود الفقري لهذا العمل الأدبي عددتها (المرتكز اللغوي المحوري) الذي تدور في فلكه كل الوسائل اللغوية المتاحة في النص، حيث تتكامل لتؤدي دورًا ترابطيا على مستوى ظاهر النص يقول فانديك:...فإنّ تحليل النصوص يعتمد على رصد أوجه الترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى التي تجمعها في هيكل تجريدي[1].

(١) أ.د سعيد حسن بحيري «علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات» (الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان)ص١٤٤.

الحبك:

هو الربط الدلالي بين العلاقات اللغوية المشار إليها في السبك، وذلك في إطار دلالي يبرز ويفجر الأبعاد الدلالية التي جاء من أجلها التركيب اللغوي الذي عناه الأديب، مع مراعاة العناصر المنطقية في التتابع الدلالي من السببية والعموم والخصوص وتنظيم الأحداث والموضوعات والمواقف والتماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية للنص "بوصفه نصًا في موقف أو حدثا اتصاليًا أو شبكة من العلاقات الناتجة من تضافر نُظُمه بمستوياتها المختلفة"[١] لذلك أطلق عليه ألبرت نيوبرت وغريغوري شريف (التلاحم) قالا".. أنَّ هناك تنظيما يُفرض على المحتوى المعرفي. وهذا الترتيب ترتيب منطقي يحدد نقاط الوصل الدلالية بين وحدات النص المعرفية، والتلاحم صفة تفرضها النصوص عندما تأخذ محتوياتها المعرفية تلك البنية المنطقية ويمكن اعتبار التلاحم أيضًا صفة البنية الترابطية[٢].

وجدير بالذكر أن هالداي ورقية حسن يعتبران (الاستبدال) و (الحذف) يؤديان دورًا ربطيًا علي المستوي النحوي.

وأنّ (المرجعية) و(التماسك اللفظى- المعجمي) يؤديان دورًا ربطيًا على المستوى الدلالي. بمعنى أنّ التماسك النصي الذي يتم عن طريق

---

(١) «**علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**» ص٧٥.

(٢) ألبرت نيوبرت وغريغوي شريف «**الترجمة وعلوم النص**» ترجمة د. محيى الدين حميدي، (نشر جامعة الملك سعود- الرياض- ط١٤٢٣) ص١٢٦.

(الاستبدال) و(الحذف) يحقق التماسك النصي على المستوى النحوي. أي أنّ العلاقة تكمن بين الكلمات أو التراكيب نفسها وليس برباط المعاني[١]. فـ(المستوى النحوي) فى كلامهما يعنى(المستوى اللغوي)، لكن دلالته فى الدراسات العربية تعني علاقة الكلمات بعضها ببعض فيما يحدد المعنى النحوي الذي يحدد بدوره صورة النطق من حيث الحركات الإعرابية.

وقد أفاد البحث من المعنيين، الأول فى تصنيف المادة اللغوية والثاني فى توظيفها دلاليا.

وعلى ذلك يكون المستبدل أو المحذوف مساوياً في التركيب اللغوي للبديل عنه مثل قولنا: هل قرأت الدرس؟ فيجاب: (فعلت). فكلمة (فعلت) بديل فعلى لكلمة (قرأت). وقولنا من جاء؟ يُجاب (محمد) بحذف الفعل: فالعلاقة هنا علاقة وحدة لغوية بوحدة لغوية تُستبدل أو تُحذف.

أما بالنسبة للتماسك اللفظي(المعجمي) والتماسك (المرجعي) عن طريق الضمائر أو أسماء الإشارة أو الأسماء الموصولة فهذه علاقة دلالية Semantic relation بين المعاني بعينها وليس بين الأشكال اللغوية linguistic relation أي أنّ (المرجعية) ليست إحلال عنصر نحوي بعنصر آخر أو بالحذف كما هو الحال في الاستبدال والحذف، ولكنه

---

(١) Cohesion in English.p.226.

توجيه لتفسير عنصر بما هو حوله[١]. وذلك مثلما يحل الضمير أو اسم الإشارة محل مسمى سابق، حيث يوجهنا الضمير إلى هذا المسمى بما يحتويه من دلالة تحيل إليه.

أما عن (الربط) ومن وسائله العطف، فقد ذكر هالداي ورقية حسن أنه بالنسبة(للعطف) Coordination فإننا ننتقل إلي نوع مختلف آخر من الدلالية، حيث إننا لا نبحث عن عناصر إنما لدينا توجيه عن الطريقة التي يرتبط بها ما سيأتي بما أتى من قبل: أي هل ستكون العلاقة بينهما علاقة إضافة أو علاقة عكسية أو علاقة سببية أو خلاف ذلك[٢]

أي أننا فى العطف نبحث عن علاقة ذهنية منطقية بين المتعاطفين. أي أن حرف العطف الرابط نفسه هو الذي يحدد نوعية العلاقة الدلالية المنطقية بين ما سيأتي وما أتى من قبل.

وهكذا يتضح أنّ التماسك النصي عن طريق المستوى النحوى عند (هالداي) ورقية حسن، مقصود به التماسك عن طريق وحدات لغوية تحل محل أخرى. أما الربط الدلالي فالتماسك فيه يكون عن طريق إنشاء علاقات منطقية ذهنية تعتمد على نوع الرابط وما يسمح به من علاقات.

---

(١) Cohesion in English.p.226.

(٢) Cohesion in English.p.227.

توجهات النص أو (عالم النص) ومركز الضبط أو(الذات المحورية)

توجهات نص إيليا أبي ماضي، أو عالم النصWorld of Text، والمضمون الذي ستدور حوله الأبعاد الدلالية تحدده الجملة الاسمية (أنا هنا) في البيت الأول:

وطـــــن النجـــــوم...أنـــــا هنـــــا

حـــــدّقْ..أتـــــذكرُ مَـــــنْ أنـــــا؟

فاللحظة لحظة لقاء الوطن بعد غياب طويل تغيّرت فيها الملامح الجسمية والفكرية للشاعر. وقد امتزجت لحظة اللقاء باستدعاء ذكريات الماضي البعيد، ليتضافر في ضمير الشاعر عنصرا الزمن الماضي والزمن الحاضر منتجا لحظة فريدة من لحظات الصدق النفسي، ينتقي فيها الشاعر وسائله اللغوية ليرسم مدخلات النفس.

وتحدد هذه الجملة أيضًا(مركز الضبط) أو (الذات المحورية) التي يدور حولها الحدث وهي نفسُ الشاعر (أنا).

والتعلق بالمكان يجسده الظرف adverb (هنا). وعلى الرغم من أنّ هذا (الظرف) لم يرد في القصيدة إلا في موضوعين: في البيت الأول (أنا هنا) وفي البيت العاشر (دنياه كانت ههنا)' إلا أنّ الربط الدلالي بين الموضعين يجعل الظرف يستوعب كل جوانب تجربة اللقاء بمظاهرها الحسية وتداعياتها النفسية.

وتكرار الظرف في البيت العاشر بنفس وظيفته النحوية كـ(مسند إليه)

(Predicate) يحدد مسار التجربة.

ويلتحم الظرف مع النداء الغامض (وطن النجوم) في الكينونة المكانية. ويظل المنادى غامض (المعنى) غامض (المدلول) معًا حتى يطرح الشاعر (المدلول) مستصحبًا أداة النداء (يا) التي رحّلها الشاعر من البيت الأول إلي البيت السابع والعشرين:

لله سـرٌّ فيـكَ يـا

لبنـانُ، لـم يُعلـن لنـا

ثم يطرح (المعنى) المراد بالمنادى (وطن النجوم) في البيت الثامن والعشرين والتاسع والعشرين:

خلـقَ النجـومَ وخـافَ أنْ

تغـوي العقـولَ وَتَفْتُنـا

فأعـارَ أرزكَ مجـدَه

وجلالَـهُ كـي نؤمِنـا

وهذا التدرج في البوح بمضمون الظرف (هنا) ضرب من ضروب الربط اللفظي lexical cohesion الذي سيأتي ذكره فيما بعد[1].

المرتكز اللغوي المحوري:

أعني به العمود الفقري الذي قام عليه مرتكز البناء اللغوي في نص (إيليا أبي ماضي) وهو هنا عنصر الاستفهام والجواب؛ فالأبيات

(١) انظر ص من هذا المبحث.

التسعة الأولى حلقات تدور في فلك سؤال، والأبيات التالية من البيت العاشر حتى البيت الرابع والعشرين دوائر من الإجابات. وبهذا السؤال الممتد، وبهذه الإجابات المفصلة، يتعزز الترابط النصي من خلال الوحدة العضوية بين الطرح والرد محققًا (التناص) بالمفهوم الذي قدمه الدكتور تمام حسان يقول:" هو علاقة السؤال بالجواب. وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه[١].

ثمة وسائل لغوية تتضافر معًا تنبثق ثم تعود فتلتحم بمرتكز البناء اللغوي، فيتم بها جميعًا التماسك اللغوي لأي نص.

وسأعرض فيما يأتي أبرز عناصر التماسك في نص إيليا أبي ماضي.

المرجعية: reference.

عالج هالداي ورقية حسن تحت أداة التماسك المرجعية (المرجعية الشخصية) [٢] personal reference، وتشمل –في الإنجليزية– الضمائر الشخصية وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة في صورة إحالة داخل النص Endophora وتسمى (النصية)Textual، للإحالة إلي

---

(١) تمام حسان «نحو الجملة ونحو النص» محاضرة ألقيت في معهد اللغة العربية بأم القرى– مكة المكرمة– في الموسم الثقافي الصيفي عام ١٩٩٥م ص٢.

(٢)Cohesion in English. P.43

مسميات ذكرت من قبل داخل النص أي إحالة قبلية[١] anaphora،أو ستذكر من بعد أي إحالة بعدية[٢] Cataphora، أو تكون إحالة خارج النص[٣] exophora، تشير إلى مسميات لم تذكر في النص، وتسمى (المقامية) Situational.

ويقول الدكتور عبد الهادي" عناصر المرجعية مثل الضمائر الشخصية وأسماء الإشارة تشير في معظم الأحيان إلى أشياء سابقة، فهي وسائل للرجوع إلى جزء سابق من النص، وأنها تعليمات بحثية توجّه القارئ أو السامع إلى البحث في النص على ما يفسرها؛ حيث إنها في حدّ ذاتها تفتقر إلى المضمون الدلالي"[٤].

وترتكز الدلالة الاستفهامية وإجاباتها في هذا النص علي عنصر الضمير، في صورة إحالات نصية داخلية قبليةanaphora وبعدية Cataphora، يعبر فيها الشاعر عن نفسه بأبعاد مختلفة لضمير المتكلم وضمير الغائب تسجل أبعادًا مختلفة للذات المحورية.

فالذات المحورية يجسدها ضمير المتكلم (أنا) في البيت الأول(أنا

---

(١) Cohesion in English.p.68

(٢) Cohesion in English.p68.

(٣) Cohesion in English.p.31

(٤)Fouad Abd Rabo Abdel Hadi' A linguistic study of some basic Types of textual Cohesion in Arabic- English translation (facuilty of arts،zagazig university 1985) (unpublished ph.D. Dissertation)p.310

هنا) و(أتذكر من أنا)، وفي البيت العاشر (أنا ذلك الولد)، وفي البيت الحادي عشر (أنا من مياهكَ) وفي البيت الثاني عشر (أنا من ترابكَ) وفي البيت الثالث عشر (أنا من طيورك).

ويجسد الذات المحورية أيضًا ضمير الغائب (هو) الذي يحيل إلى كلمة (فتًى) في البيت الثاني:

ألمحـــتَ فـــي الماضـــي البعيـــ

ـــــد فتًـــى غريـــرا أرعنـــا

وذلك في الأفعال (يتسلق) و(يحسن) و(يعود) و(يبريها) و(يخوض) و(لا يتقي) و(ولا يخاف) و(تشيطن) [١] و(غنّى) و(فاغتنى) [٢].

ويعبر أيضا عن الذات المحورية بضمير الغائب(الهاء) في البيت الرابع(ملعبه) والبيت التاسع(عنه) والبيت العاشر(دنياه)

ثم يمثل ضمير المتكلم (الياء) الذات المحورية في البيت الخامس عشر (روحي) وفي البيت الثلاثين (إليّ).

فتعدد الضمائر التي تعبر عن الشاعر ترصد تحولات ضمائر الذات التي تستغرق كل جوانب نفسه وتجربته باستدعاء ضمير المتكلم(أنا) الذي يجسد لحظة الوصال مع وطنه الذي تحققت فيه ذاته.

ثم يتوّج حضور الذات بإضافة كلمة(روح) لياء المتكلم فى البيت

---

(١) من البيت الخامس إلى البيت التاسع على التوالي.

(٢) البيت الثالث عشر

الخامس عشر:

كـــم عانقـــت روحـــي رُبـــا

كَ وصـــفقت فـــى المنحنـــى

وعندما يسترجع الذكريات البعيدة يأتي ضمير الغائب الذي يخرج به عن واقعه الحاضر إلى تداعيات الماضي

وتقدم لنا تحولات ضمائر الذات بين المتكلم والغائب صورة من صور الالتفات[١] على مستوى النص تؤدي ترابطا على مستوى ظاهر النص المنضبط بمعيار السبك وترابطا نفسيا دلاليا على مستوى معيار الحبك؛ إذ إن هذه الضمائر كلها تحيل إحالة قبلية anaphoric إلي الضمير المذكور فى البيت الأول(أنا هنا) مما يحافظ على خط الترابط و"يجعل من تجربة النص شبكة من العلاقات الصياغية والمضمونية الآسرة"[٢].

وفى مقابل هذه الحالة من تنوع ضمير الذات المحورية بين المتكلم والغائب، يوحّد الشاعر الإحالة إلي الوطن بضمير الخطاب فقط. لكنه

---

(١) يسمي(الالتفاتُ) (شجاعة عربية) إذ إنّها" إقدام على أنماط من التعبير مخالفة لما يقتضيه الأصل؛ لأنها تعبر بأسلوب الخطاب فى سياق الغيبة، وذكر الغيبة فى سياق الخطاب. وهكذا" د.محمد أبو موسي «**خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى**» مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الثانية، ص١٩٥.

(٢) أ.د. سعد مصلوح «**نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة فى قصيدة جاهلية**» مجلة فصول. المجلد العاشر. العددان الأول والثانى(يوليو ١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م) ص١٥٧.

ينوع صورة هذا الضمير بين(تاء المخاطب)فى(ألمحتَ) و(انكشفت) و(فكنتَ)[١]، وبين ضمير المخاطب المستتر(أنت) فى (حدّق) و(أتذكر)[٢]، وبين كاف الخطاب فى(حقولكَ) (مياهكَ) (ترابكَ) (طيوركَ) (ربوعكَ)(رباكَ) (بنُوكَ) (فيكَ) (ذراكَ)[٣] (أرزكَ) و(سلوتكَ)[٤].

ثم يصل الشاعر إلى قمة تجسيد حضور الوطن بضمير المخاطب المنفصل الواقع توكيدًا لضمير المخاطب المتصل فى البيت السادس والعشرين:

واســـــــتعرض الفـــــنُّ الجبـــــا

ل فكنـــــتَ أنـــــتَ الأحـــــسنا

فاللحظة الحالية يلهثُ وراءها فكر الشاعر يتنازعه الحاضر والماضي فى صورة ضمائر(المتكلم) و(الغائب) التي عبّر بها عن نفسه، لكنّ واقع الوطن حقيقة ثابتة فى نفسه التي تطوّف فى أحضان(ضمائر المخاطبة)

ويحيل الشاعر بالضمير إحالة خارجية exphara(مقامية) فى البيت الحادى والثلاثين لأشخاص لم يذكروا فى النص:

زعمـــــوا ســـــلوتُكَ..ليـــــتهم

نـــــسبوا إلـــــيّ المُمكنـــــا

---

(١) البيتان الخامس والعشرون والسادس والعشرون.

(٢) البيت الثالث.

(٣) البيت الثالث، والأبيات من ١١: ١٩ على الترتيب.

(٤) البيتان التاسع والعشرون والثلاثون.

وما أرى هذه الإحالة الخارجية إلا استبعادًا للزعم وقائليه.

الجملة الاسمية والجملة الفعلية والموقع الإعرابي:

الجملة عند عبد القاهر الجرجانى هى الحد الأدنى من الكلمات تحمل معنى يحسن السكوت عليه[١]. وذكر ابن هشام حدودها" والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ(قام زيد)، والمبتدأ وخبره كـ(زيد قام)، وما كان بمنزلة أحدهما نحو(ضُرب اللصّ) و(أقام الزيدان) و(كان زيدٌ قائما) و(ظننت زيدا قائما)" [٢]

وفى هذا النص تلعب الجملة بنوعيها)(الاسمية) و(الفعلية) دورا بارزا فى التماسك النصي؛ إذ تتضافران حول المرتكز الاستفهامي حيث تمثل الجمل الفعلية العنصر الرئيسي الذي يسوق السؤال (أتذكر من أنا؟)(ألمحت فى الماضي البعيد فتًى...؟)، بينما تمثل الجملة الاسمية العنصر الأساسي الذي يسوق الجواب[٣]. وإذا كانت الجملة الفعلية تفيد -على المستوى البلاغي – التجدد واستحضار الصورة، وتفيد الجمل الإسمية ثبات الحال واستمراره، فكأنما وصل الشاعر بإجاباته إلى نقطة

---

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني «**دلائل الإعجاز**» قراءة وتعليق محمود محمد شاكر(مطبعة المدني بالقاهرة- ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص١٠٢.

(٢) ابن هشام الأنصاري «**مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد(مطبعة صبيح وأولاده) ٣٧٤/٢.

(٣) انظر من البيت العاشر إلي الثالث عشر.

الثبات بعدما اضطربت به أرجوحة السؤال.

وفى ملمح آخر ووظيفة أخرى للجملة الفعلية من حيث (الموقع الإعرابي)، إذ عدّه الدكتور محمد حماسة أداة من أدوات التماسك[١]، حيث تقع الجملة الفعلية نعتا للمفعول به وللمسند إليه فى كلّ من الجمل التي تشكل قوام السؤال، والجمل التي تمثل الجواب، ليسهم الموقع الإعرابي فى رسم خط التواصل بين الجمل الإنشائية والجمل الخبرية فى صورة التناص.

فالمبدع الواقع مفعولا فى جملة السؤال(فتًى) موصوف بالجمل الفعلية(يمرح) و(يتسلق) و(يعود) و(يخوض) و(لا يتقى)و(ولا يخاف)[٢].

والمسند إليه المُخبِر عن المبدع فى جمل الجواب موصوف بالجمل الفعلية(أنا... قطرة فاضت) و(أنا..ذرة ماجت) و(أنا.. بلبل غنى)و(..حمل)[٣].

فتضام الجمل الوصفية منسكبة مع أركان الجمل الرئيسية الإنشائية والخبرية يحقق نوعين من الترابط،أحدهما على مستوى الصياغة النصية حيث يوفر استمرارية التتابع الوصفى وتلاحقّه، والأخرى على المستوى الدلالي حيث تكثّف زاوية الرؤية على الذات المحورية فى النص.

وإذا كانت(جملة النعت) فى الدرس النحوي تصف(النكرة)، فتلك نفس الشاعر الشريدة التي تذوب فى مناحي الوطن.

---

(١) «بناء الجملة العربية» ص٧٨.

(٢) الأبيات من ٣: ٨ على التوالي.

(٣) الأبيات من ١١: ١٤ على التوالي.

فإذا عدّد الشاعر مقدرات هذا الوطن- وهو الحقيقة الثابتة فى منتهى آفاق نفسه وواقعها- جاءت الجمل الفعلية فى سلسلة من(الجمل الحالية) لتشد وثاق الترابط بين المتلاحقات التعبيرية فى النص، ولا يقف الأمر عند ذلك، إذ إنّ صاحب الحال فى كل المواضع شبه الجملة الجار والمجرور، يقول فى البيت الحادي عشر:

كـــــم عانقـــــت روحـــــي رُبـــــا

كَ وصـــــفّقتْ فـــــى المنحنـــــى؟

(للأرز يهزأ) (للبحر ينشره) (للشمس تبطئ) (للبدر يكحل) (للحقل يرتجل الروائع) (للعشب أثقله الندى...للغصن أثقله الجنى)[١].

فالتكرار الجراماتيكي[٢]بمراعاة التوافق الشكلي للوحدات اللغوية، إلى جانب توافق الوظائف النحوية للمعارف وأحوالها يستدعيان التوافق الدلالي فى ترابط قوي على مستوى السبك والحبك.

وقد لعبت هذه الجمل النعتية والحالية دور الربط الذي يؤديه عنصر (العطف)، إذ إنّ العطف ليس له دور بارز فى الربط بين أجزاء النص إذا استثنينا المقطع الأخير من القصيدة.

---

(١) الأبيات من ١٦: ٢٣ على التوالي.

(٢) هو" تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة، أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل. انظر:د. أحمد عفيفي، «**نحو النص اتجاه جديد فى الدرس النحوي**» مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ٢٠٠١، ص١١١.

وهذا ملمح يجب مراعاته عند الدراسة النصية التطبيقية، أنّ لكل نص خصوصيته اللغوية ووسائل الربط التي تعنيه، ذلك أنّ اللغويين الذين وضعوا أسس هذا المنهج أولوا وسائل الربط المتمثلة فى أدوات العطف أهمية خاصة فى أداء دور التماسك النصي.

الاستبدال Substitution:

هو تعويض عنصر لغوى بعنصر لغوي آخر، وقال الدكتور أحمد عبد الراضى هو" نوع من الإحالة اللفظية؛ لأنه إشارة بعنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر يتفق معه فى الدلالة"[١].

وأنواع الاستبدال كما عالجها هالداي ورقية حسن، الاستبدال الاسمي[٢]Substitution nominalكاستبدال كلمة (أخرى) بكلمة(فئة) فى قوله تعالي" فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ" سورة آل عمران آية ١٣، والاستبدال الفعلي[٣] Substitution Verbal مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة: ٢٣ - ٢٤،) فقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾(البقرة: ٢٤)استبدال من الفعل(فأتوا).

---

(١) د. أحمد محمد عبد الراضي «نحو النص بين الأصالة والحداثة» مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص١٣٠.

(٢)Cohesion in English.p.91.

(٣) Cohesion in English.p.112.

واستبدال فقرة أو جملة[١] Substitution Clausal، مثل قولنا: هل نجح علىّ فى الامتحان؟ تقول. اعتقد ذلك، فكلمة(ذلك) تشير إلى جملة السؤال. وقد أطلق الدكتور أحمد عفيفي على هذا النوع(استبدال قولي)[٢].

وقد تحقق هذا النوع من أنواع التماسك فى نص(إيليا) على مستوى الاستبدال الجملي(القولي) عندما أتى الشاعر بجملة (أنا ذلك الولد...) فى البيت العاشر مشيرًا إلى مجموعة من الجمل السابقة (ألمحت فى الماضي البعيد فتىً) و(جذلان يمرح فى حقولك) و(المقْتنى المملوك ملعبُهُ) و(يتسلق الأشجار)و(يعود بالأغصان)و(يخوض فى وحل الشتاء) و(لا يتقى شر العيون)و(ولكم تشيطن)[٣].

فقد استجمع الشاعر كل هذه الجمل فى اسم الإشارة (ذلك)، وأحاطه بجملة من(المعارف اللفظية) المشتملة على الضمير(أنا) واسم الإشارة (ذلك) والاسم المعرف بـ ال(الولد) والنعت الذي يمثله المصنّف النحوي الاسم الموصول (الذي).

فكل هذه المعارف مرتبطة من جهة أخرى(بمركز الضبط) فى النص وهو المبدع فى مضمون (الضمير) المذكور فى أول بيت(أنا) وهذا المحتوى المقصود به ذات الشاعر سهل الاستحضار على مستوى

---

(١) Cohesion in English.p.130.

(٢) «نحو النص» د. أحمد عفيفي ص١٢٣.

(٣) الأبيات من ٢: ٩ على التوالي

المساحات الترابطية بين المعارف المختلفة المذكورة، وبين الضمير الشخصي الذي تردّد بصور مختلفة على مستوى النص بين ضمير المتكلم والغائب كما أوضحته سابقا.

وقد عدّ(هارفج) الضمائر نوعًا من أنواع الاستبدال وأطلق عليه(الاستبدال الثنائي البعد)[١].

والاستبدال بالمفهوم السابق يضمن الاستمرارية الدلالية لوجود العنصر المستبدل فى الجمل اللاحقة.

الربط Conjunction

ويعني" الإشارة إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات أو بين الأشياء التي فى هذه المساحات. وهذا النوع يعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يدل عليها النص. وهى عبارة عن وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصية"[٢].

ووسائل الربط تكون بحروف العطف، أو بالتفريع باستخدام(لأن، لهذا، من حيث، نتيجة لذلك، على الرغم من ذلك. بناء على هذا، بالإضافة إلى، علاوة على ذلك) للربط بين صورتين بينهما اتحاد أو تشابه

---

(١) زتسيسلاف واورزنياك «مدخل إلي علم النص مشكلات بناء النص» ترجمة وتعليق أ.د. سعيد حسن بحيرى (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٦١.

(٢) «نحو النص» د. أحمد عفيفي ص١٢٨.

من خلال الربط الدلالي الذي تقدِّمه العلاقات المنطقية.

والربط بوسيلتى العطف والاستدراك بـ(لكن) تعلو نبرته فى المقطع الأخير من القصيدة فى سياق حواري بين زعم الزاعمين وواقع الشاعر. يقول:

زعمـــــوا ســـــلوتُكَ..ليـــــتهم
نـــــسبوا إلـــــيّ الممكنـــــا
فـــــالمرءُ قـــــد ينـــــسى المـــــسي
ءَ المفتـــــــــري والمحـــــــــسنا
والخمـــــر، والحـــــسناء، والـــــوترَ
المـــــــــرنّح، والغِنَـــــــــا
ومـــــــرارة الفقـــــــر المـــــــذّل
بلـــــى ولـــــذّات الغنـــــى
لكنّـــــــه مهمـــــــا ســـــــلا
هيهـــــات يـــــسلو الموطنـــــا

فوسائل الربط تمنحنا روابط لغوية على المستوى السطحي للنص، وذلك فى توالي المتعاطفات، وتفجر فى الحين نفسه دلالات تسهم فى تجسيد إحساسه بالوطن؛ لأن العطف يعبر عن مجموعة من الحقائق والوقائع المتتالية التي يترتب بعضها على بعض لذلك سماها (هالداي

ورقية حسن) بالربط الإضافي additive Conjenction[١].

والربط بالاستدراك فى البيت الأخير(لكنّه) يدعمه أسلوب الشرط(مهما سلا هيهات) ويعمّق من أثر العلاقة الدلالية العكسية للاستدراك فقد أطلق هالداي ورقية حسن على العلاقة الدلالية التي يفيدها الربط بـ(لكن) الترابط بعلاقات عكسية[٢]. Relation of adversity ويقصد بها أن العلاقات الدلالية بين الجمل تظل علاقات عكسية نظرًا لتضمن الحرف الرابط أو الوحدة اللغوية الرابطة هذا المعنى[٣].

التماسك اللفظى (المعجمى) lexical Cohesion

وهى علاقة تماسك تتم من خلال استخدام التراكيب اللفظية The structure of the lexis أو المفردات. وعليه فإن التماسك يتم على

---

(١) Cohesion in English.p.244.

(٢) Cohesion in English.p.250.

(٣) وقد مثّلا لذلك بمثال تنوعت فيه وسائل الربط وتظل الدلالة العكسية واحدة فى كل الجمل:=

-He Fell asleep، in Spite of his great discomfort.

لقد نام على الرغم من تعبه الشديد.

-Although he was very uncomfortable، he fell asleep

على الرغم من إنه كان متعباً جداً، سقط نائما

- he was very uncomfortable، Never theless he fell asleep

لقد كان متعباً جدا، ورغم ذلك سقط نائما

وقد علّقا على هذه الأمثلة قالا:

"the semantic relationship remains an adversative one throughout" cohesion in English.P229.

المستوى الدلالي، حيث يكون المعنى المتصل بين المترادفات أو المتكررات هو الرابط.

وقد جعل هالداي ورقية حسن من وسائل التماسك اللفظى (التكرار)[١]. (reiteration) وينقسم إلى تكرار بنفس الكلمة repetition والمرادف synonym، أو شبه المرادف near-synonym.

وهذا النوع من الربط اللفظي(التكرار) أحكم به الشاعر مطلع قصيدته وختامها؛ فقد بدأت القصيدة بكلمة(وطن) وختمت بكلمة(الموطنا) مما يحصر التجربة والحالة النفسية بين أحرف(الواو) و(الطاء) و(النون).

وتسهم(المترادفات) synonym فى دعم التماسك اللفظي على مستوى النص.

فبعد أن عبّر الشاعر عن نفسه فى البيت الأول بالضمير(أنا)، انتقل إلى المترادفات(فتًى) فى البيت الثاني، ثم(الولد) فى البيت العاشر ثم(المرء) فى البيت الحادي والثلاثين.

والشاعر إذ ينتقل بين هذه المستبدلات اللفظية من المعرفة إلى النكرة ثم إلى المعرفة مرة أخرى، عنده مبرراته النفسية التي تحدد الاستعمال اللغوي، إذ إنّ ذاته تحقّقت بوجوده فى موطنه، فيكون ضمير المتكلم(أنا) ثم يصطدم فكرهُ بطول الفراق وبُعد الأزمان بين الوطن وبين ذلك الفتى

---

(١) Cohesion in English.p.288.

الغرير الأرعن، فتأتي(فتًى) نكرة يعززها ويخصصها الجمل الوصفية التي ترسم صورة هذا الصبي فى الماضي البعيد، ثم يعلن مرة أخرى عن نفسه بالمعارف المتلاحقة التي استوعبها(الاستبدال الجملي)(أنا ذلك الولد الذي...) وعندما يعبر عن ذاته بـ(المرء) فلكي تذوب ذاته فى غيره من الذوات ليعبر عن خصلة إنسانية لا ينفك عنها أحد(حب الوطن)

وجعل هالداى ورقية حسن من وسائل التماسك اللفظي ذكر الخاص بعد(العام)(الشمولي) Suparordinate مثل (الأثاث) يتفرع منه(كرسي- منضدة) أو العكس فيذكر العام بعد الخاص [١]، أو الجزء من الكل Part To wholes وقد عالجاه تحت مسمى (المترابطات)[٢]Collocation، وترجمها الدكتور أحمد عفيفي بالتضام[٣].

وعلاقة الجزء بالكل فى نص إيليا أبي ماضي تتضافر مع المترابطات المتداخلة لبناء النسيج المحكم للنص متمثلة فى(أنا من مياهك قطرة) و(من ترابك ذرة) و(من طيورك بلبل) وما يمكن أن تحمله من تناص لما فيها من توضيح وتخصيص.

الترابط الإيقاعي:

يعد التوافق الإيقاعي على مستوى النص وسيلة من وسائل الترابط النصي الذي يوفره وحدة الوزن ووحدة القافية والتوافق التقسيمي بين

---

(١) Cohesion in English.p.285.

(٢) Cohesion in English.p.284.

(٣) «نحو النص» د. أحمد عفيفي ص١١٢، ١١٣.

بعض الألفاظ والتراكيب، على ما يوضح فيما هو آتٍ:

أولا: الوزن:

الوزن العروضي يمثل توافقا زمنيا بين الأصوات تحدده حركات وسكنات، وقد اختار الشاعر وعاء مجزوء الكامل الذي يتشكل البيت الشعري فيه من أربع تفعيلات من(متفاعلن) فى كل شطر تفعيلتان، وقد انضبط البيت الشعري في هذا النص بتكرار وحدة هذه التفعيلة صحيحة العروض والضرب. وهذا التوافق الكمي على مستوى النص يسهم في وحدة الإيقاع الصوتي متفاعلا مع وحدة الجو النفسي.

وقد أدى حرص الشاعر على استمرارية وحدة الإيقاع إلى الخروج عن الضوابط اللغوية في البيت الرابع إذ قطع همزة الوصل فى كلمة(ألمقتنى):

ألمقْتنـــــــى المملـــــــوك ملـــــــ

عبـــــــه وغيـــــــرُ المُقْتنَـــــــى !

ويبقى بعد ذلك خط التماسك البنائي الذي يوفره الوزن العروضي على مستوى النص، نظرا لتوالي التوافق الكمى للوحدات التفعيلية للبحر[1].

---

(١) أبو الحسن على بن عيسى الرماني النحوي «**كتاب معاني الحروف**» تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي(دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة) ص٩٤.

ثانيا: القافية:

يسهم التوافق اللفظي والحركي للقافية فى تنظيم الإيقاع الموسيقي الموحد فى النص، وقد اختار الشاعر حرف الروي النون المفتوحة المشبعة بحرف الألف.

وحرف النون يشبه" الحركات فى أهم خاصة من خواصها وهى قوة الوضوح السمعي" (١).

وإطلاق النون المفتوحة بحرف المد الألف يكثف الأثر السمعي، إذ إنّ أقوى الأصوات المجهورة فى إحداث الجرس(الحركات)، وكأن الشاعر يفتح مكنون نفسه بلا حدود فى لحظة اللقاء.

ثالثا: التوافق التقسيمي

ردّ الدكتور سعد مصلوح كثيرًا من المظاهر النصية إلى جذور نقدية وبلاغية يقول" وجدير بالذكر أنك وجدت هذه الظاهرات بعضها أو جلها فى التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتا وفرادى، لانصرافها إلى متابعة الشاهد والمثال والجملة، ولعل فى التراث البديعي من الثراء والخصوبة ما يحفز الجادين من الجانبين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم فى إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي" (٢)

---

(١) أ.د. كمال محمد بشر: «**علم اللغة العام: القسم الثاني الأصوات**» (دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية) ص١٦٨.

(٢) د. سعد عبد العزيز مصلوح «**فى البلاغة العربية والأسلوبية اللسانية**» عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٣٧.

والتناسب" حالة من التناغم بين العناصر، تضم المؤتلف والمتباين، وتوقع التشابه بين ما يبدو مختلفا للوهلة الأولي"[١].

و(التناسب اللفظي) بعدٌ من أبعاد التناسب عند البلاغيين، ويكون بين المؤتلف والمتباين من الألفاظ على أساس" قوة طلب الكلمة لما يليها من الكلم، باعتبارها قوة يتصل فيها الجانب اللفظي بالجانب الدلالي"[٢].

والشاعر إيليا أبو ماضي يتخذ من التناسب اللفظي منطلقا لتدعيم فكره وعاطفته تجاه وطنه، فالتناسب اللفظي والتكامل الدلالي بين(بلبل) و(غنّي) توّجَهُ الشاعر بالجناس فى (فاغتنى) وسرعة النتائج تحمله(الفاء):

أنـــا مـــن طيـــورك بلبـــل
غنـــى بمجـــدكَ فـــاغتنى

أما كلمة(الُمذِلّ) فى البيت الثالث والثلاثين:

ومـــرارة الفقـــر المُـــذِلّ
بلـــى، ولـــذّات الغنـــى

فحاسة التذوق تنهض بالتصوير المستبدل فيه(قوام الجسد) بـ(مرارة الفقر). واسم الفاعل(الُمِذلّ) يرسم الموقف الاجتماعي وتواطؤ الضغوط وتراكم الأسباب، وعلاقة التضاد بين(مرارة الفقر) و(لذات الغنى)

(١) د. جابر عصفور «مفهوم الشعر دراسة فى التراث النقدي» (ط مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٥)ص٣٤١.

(٢) «مفهوم الشعر» ص٣٥١.أ.د أحمد درويش: «دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث» (دار غريب، القاهرة، ط١٩٩٨م) ص١٤٠.

تستحضر النقيض و"الشيء يحضر فى الذهن عند حضور نقيضه"[١] ومن جهة أخرى يغذي التضاد الإيقاع الموسيقي الممتد فى النص.

و(تناسب المعاني) بعدٌ من أبعاد التناسب عند البلاغيين، وهو يلفتنا إلى قدرة الشاعر على اكتشاف العلاقات بين المدركات والمعاني، يقول أبو حازم القرطاجني" المذهب المستحسن فى الكلام أن يفتن فى ضروب الإبداعات الموقعة فيه وأن يتوخى الاقترانات"[٢]

والشاعر إيليا أبو ماضي يكثف هذا البعد التناسبي للمعاني مصحوبا (بحسن التقسيم) ليكثف الجو النفسي من خلال إيقاع الألفاظ فالليل يناسبه الصلاة، والصبح يناسبه الأذان:

لليـــــــل فيـــــــكَ مـــــــصليا

للـــــــصبح فيـــــــكَ مؤذنـــــــا

والفعل(أثقله) يربط بين المتناسبات اللغوية

للعـــــــشب أثقلـــــــه النـــــــدى

للغـــــــصن أثقلـــــــه الجنـــــــى

والتناسب المعنوي يعانقه تناسب الوحدات النحوية سواء من حيث العلامة الإعرابية للحال المنصوب(مصليًا) و(مؤذنًا) والتوافق الكمي لاسم

---

(١) أ.د. أحمد درويش: «**دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث**» دار غريب، القاهرة ط١٩٩٨م، ص١٤٠.

(٢) أبو حازم القرطاجني، «**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**» تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة (دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦) ص٦١.

الفاعل(مصليًا) و(مؤذنًا)، أو من حيث تكرار الوحدة النحوية الجار والمجرور(فيكَ)، أو من حيث الموقع الإعرابي والتوافق الكمي لجملتي الحال(أثقله الندى) و(أثقله الجنى).

ملخص البحث والنتائج

البحث دراسة نصيّة تطبيقية لقصيدة إيليا أبي ماضي(وطن النجوم) من خلال عنصري السبك(الترابط النحوي) والحبك(الترابط الدلالي) من معايير النصية التي حدّدها دي بوجراند ودريسلر.

وقد عُنى البحث بوسائل السبك التي حدّدها هالداي ورقية حسن، المرجعية، والاستبدال، والربط، والتماسك اللفظي(المعجمي)، إلى جانب تحقيق عنصر الربط عن طريق الموقع الإعرابي، حيث عدّه أستاذنا الدكتور محمد حماسة من وسائل السبك. وعُني البحث أيضا بالترابط الإيقاعي الذي يوفره وحدة الوزن والقافية وتوافق بعض الألفاظ والتراكيب اللغوية.

وقد عالجت وسائل الربط فى إطار أدبي يعنى بإبراز الدلالات المطروحة فى النص دون العناية بالكم العددي لوسائل الربط طلبا لعدم ثقل العمل بما لا جدوى منه.

وخلص البحث إلى النتائج الآتية:

• أنّ لكل نص مرتكزًا لغويًا محوريًا يمثل العمود الفقري للنص تصدر منه وترجع إليه فى آن واحد جميعُ الوسائل اللغوية الأخرى التي استعان بها المبدع أو الكاتب؛ لتتضافر معًا فى شكل بناء يمثل كيان النص، ويدعم فى نفس الوقت وصلات الترابط بين أجزاء النص، حيث يكون المرتكز اللغوي المحوري كالنهر تنبعث منه روافد لغوية تجري بجريانه.

• هذا المرتكز اللغوي يختلف من نص لآخر تبعا لشخصية النص وطريقة بنائه حيث يتميز عن غيره من النصوص، وعلى الباحث أن يتحسس هذا المرتكز ليكون الخيط الذي يقتفى أثره ليدخل به إلى العالم اللغوي للنص.

ويتمثل المرتكز اللغوي المحوري لهذا النص فى عنصر الاستفهام والجواب عنه؛ فالأبيات التسعة الأولى حلقات تدور فى فلك سؤال، والأبيات التالية من العاشر إلى الرابع والعشرين دوائر من الإجابات المفصَّلة. وبهذا السؤال الممتد وبهذه الإجابات المفصلة يتعزّز الترابط النصي من خلال الوحدة العضوية بين الطرح والرد فى صورة التناص.

• لا يحتمل النص اللغوي كل وسائل التماسك التي ذكرها مؤصلو علم النص، لذلك على الباحث أن يتخيّر من هذه الوسائل ما يتيحه النص المدروس؛ إذ إن لكل نص وسائل التماسك التي تميّزه عن غيره من النصوص.

• من الأجدر تجنب تسجيل الكمّ العددي لوسيلة الربط عند تحليل النصوص؛ اتقاء لما لا جدوى منه، إلا فيما يكون له مدعاة لذكر ملمح لغوي أو دلالي أو بلاغي.

• الموقع الإعرابي للجمل الإسمية والفعلية يلعب دورا كبيرا فى التماسك النصي، ويؤدي الدور الذي يؤديه عنصر العطف، حيث أسهم الموقع الإعرابي للجمل الحالية والنعتية فى رسم خط التواصل بين الجمل الإنشائية والجمل الخبرية فى نص إيليا أبي ماضي.

• الترابط الإيقاعي وسيلة من وسائل الترابط النصي لما يوفره التوافق الزمني بين الأصوات متمثلا فى الوزن، وتوافق التردد الإيقاعي المتساوي متمثلا فى القافية من تنظيم الإيقاع الموسيقي الموحد فى النص.

• تختلف دلالة التعبير(الترابط على المستوى النحوي) فى كلام هالداي ورقية حسن عن مدلوله فى لغتنا العربية؛ إذ(المستوى النحوي) فى كلامهما يعنى(المستوى اللغوي) إذ يتعلق بالوحدة اللغوية التي تحل محل وحدة لغوية أخرى. لكن دلالته فى الدراسات العربية تعنى علاقة الكلمات بعضها ببعض فيما يحدّد المعنى النحوي الذي يحدد بدوره صورة النطق من حيث الحركات الإعرابية. وقد أفاد البحث من المعنيين، الأول فى تصنيف المادة اللغوية والثاني فى توظيفها دلاليا.

• (الترابط الدلالي) عند هالداي ورقية حسن فى ما يخصّ وسيلتي الربط(المرجعية) و(الربط اللفظي- المعجمي)، يعنى أنّ المعنى الدلالي الساري بين الألفاظ هو الرابط، مثل كلمتي(الصبي، والفتى) فالمعنى الترادفي هو الرابط بينهما وهو الذي يجعلك تحيل هذه إلي تلك، وكذلك الضمائر فهي علامات بحثية كاقتفاء الأثر تحيلنا إلى المحال إليه عن طريق احتوائها المعنى الدلالي الذي تحمله.

أما(الترابط الدلالي) عندهما فى باب العطف، فيعنى أنّ حروف العطف هي التي تحدّد الدلالة المعنوية من حيث السببية والإضافية والعكسية....الخ فى صورة علاقات منطقية ذهنية.

• يحتاج علم نحو النص مزيدًا من الممارسة التطبيقية، فى محاولة لتوفيق وسائل علم النص وروافده الكثيرة من علوم البلاغة والنقد وعلوم

اللغة وعلم الدلالة وعلم الاجتماع..الخ ليشق له طريقا تتضح معالمه بجهود المحاولات المتتالية.

نص قصيدة «وطن النجوم»

وطـــن النجـــوم.. أنـــا هنـــا ... حَـــدِّقْ... أتـــذكر مـــن أنـــا؟
أَلَمحْـتَ فـى الماضـي البعيـد ... فتًـــى غريـــرا أرعنـــا؟[1]
جـذلان يمـرحُ فـى حقولِـكَ ... كالنـــــسيم مُدنـــــدِنا
أَلمقْتنـــى المملـــوك ملعبُـــه ... وغيـــــرُ المُقْتنَـــــى !
يتـسلّق الأشـجار لا ضَـجَراً ... يحـــــسُّ ولا ونَـــــى
ويعـــودُ بالأغـــصان يبريهـــا ... ســـــيوفا أو قنـــــا[2]
ويخـوضُ فـى وَحْـل الـشتا ... مـــــتهلّلاً متيمنـــــا
لا يتقـــى شـــرَّ العيـــون ... ولا يخـــــافُ الألـــــسُنا
ولكـــم تـــشيطنَ كـــي يقـــولَ ... النـــاسُ عنـــهُ "تـــشيطنَا
أنـــا ذلـــك الولـــد الـــذي ... دنيـــاهُ كانـــتْ ههنـــا!
أنـــا مـــن مياهـــكَ قطـــرةٌ ... فاضـــتْ جـــداول مـــن سَـــنا
أنـــا مـــنْ ترابـــكَ ذرةٌ ... ماجـــت مواكـــبَ مـــن مُنـــى
أنـــا مـــن طيـــورك بُلبـــل ... غنّـــى بمجـــدكَ فـــاغتنى
حمـــل الطلاقـــة والبـــشاشة ... مـــن ربوعـــك للـــدّنى
كـــمْ عانقـــت روحـــي ربُـــاكَ ... وصـــفّقتُ فـــى المنحنـــى؟
لـــلأرز يهـــزأ بالريـــاح ... وبالـــــدهور وبالفنـــــا

---

(١) أرعن: أحمق

(٢) القنا: الرمح

للبحـــر ينـــشره بنُـــوكَ ... حـــــضارةً وتمـــــدُّنا
لليـــل فيـــكَ مُـــصلياً ... للـــصبح فيـــكَ مؤذّنـــا
للـــشمس تبطـــئُ فـــى وداع ... ذراك كـــــيلا تحزنـــــا
للبـــدر فـــى نيـــسان يكحـــلُ ... بالـــــضياء الأعينـــــا
فيـــذوب فـــى حـــدق المهـــى ... ســـــحراً لطيفـــاً ليّنـــا
للحقـــل يرتجـــل الروائـــع ... زنبقـــــا أو سوســـــنا
للعـــشب أثقلـــه النّـــدى ... للغـــصن أثقلـــه الجنـــى
عـــاش الجمـــال متـــشردا ... فـــى الأرض ينـــشد مـــسكنا
حتـــى انكـــشفتَ لـــه فـــألقى ... رحلـــــه وتوطنـــــا
واســـتعرض الفـــنُّ الجبـــال ... فكنـــت أنـــت الأحـــسنا
لله ســـرٌّ فيـــكَ، يـــا ... لبنـــان، لـــم يعلـــن لنـــا
خلـــق النجـــوم وخـــاف أن ... تغـــوى العقـــول وتَفْتُنَـــا
فاعـــار أرزك مجـــده ... وجلالـــه كـــي نؤمنـــا
زعمـــوا ســـلوتكَ...ليـــتهم ... نـــسبوا إلـــيَّ الممكنـــا
فـــالمرء قـــد ينـــسى المـــسيءَ ... المفتـــرى، والمحـــسنا
والخمـــر والحـــسناء والـــوتر ... المـــرِّنح، والغنـــــا
ومـــرارة الفقـــر المُـــذلِّ ... بلـــى، ولـــذّات الغنـــى
لكنّـــهُ مهمـــا ســـلا ... هيهـــات يـــسلو الموطنـــا

المصادر والمراجع

١- أ.د. أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة ط١٩٩٨م.

٢- احمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد فى الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ٢٠٠١م.

٣- د. أحمد محمد عبد الراضي: نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠٠٨م.

٤- ألبرت نيوبرت وغريغوري شريف: الترجمة وعلوم النص، ترجمة د. محيي الدين حميدي، نشر جامعة الملك سعود، الرياض، ط ١٤٢٣هـ.

٥- د. إلهام أبو غزالة، وعلى خليل محمد: مدخل إلي علم لغة النص تطبيقات لنظرية(روبرت دى بوجراند ولفجانج أ.درسلو): الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩م.

٦- إيليا أبو ماضي: تبر وتراب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦١م.

٧- تمام حسان: نحو الجملة ونحو النص، محاضرة ألقيت فى معهد اللغة العربية، أم القرى، مكة المكرمة فى الموسم الثقافي الصيفي، عام ١٩٩٥م.

٨- د. جابر عصفور: مفهوم الشعر دراسة فى التراث النقدي(ط مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٥م).

٩- أبو حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة(دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦)

١٠- حجر عاصي: شرح ديوان إيليا أبي ماضي شاعر الإنسانية والحياة، دار الفكر العربي، بيروت.

١١- أبو الحسن على بن عيسي الرماني النحوي. كتاب معانى الحروف، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

١٢- زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة وتعليق أ.د. سعيد حسن بحيرى(مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٥٤هـ/٢٠٠٣م

١٣- زهير ميرزا: ديوان إيليا أبي ماضي شاعر المهجر الأكبر، دار الدعوة.

١٤- أ.د سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة فى قصيدة جاهلية، مجلة فصول، المجلد العاشر، العداذان الأول والثاني، يوليو وأغسطس ١٩٩١م.

١٥- أ.د. سعيد حسن بحيرى: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات(الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.

١٦- أ.د صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٦٤، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م.

١٧- عبد العليم القباني: إيليا أبو ماضي: حياته وشعره بالإسكندرية، ١٩٠١م- ١٩١١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١٨- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: دلائل الإعجاز قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٩- عبد اللطيف شراره، إيليا أبو ماضي دراسة تحليلية، دار صادر، بيروت.

٢٠- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢١- د. كمال محمد بشر: علم اللغة العام(القسم الثاني) الأصوات،(دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية)

٢٢- أ.د محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولي، ١٤١٦هـ/١٩٩٢م.

٢٣- ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد(مطبعة صبيح وأولاده).

المراجع الأجنبية

-Fouad Abd Rabo Abdel Hadi: Alinguistic study of some basic types of textual cohesion in Arabic- English Translation، Facuilty of Arts، Zagazig university، 1985.(unpublished ph.D.Dissertation)

-M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hassan. cohesion in English (Longman Group ltd 1976)

فهرس الموضوعات

مقدمة الكتاب ٣

المبحث الأول: المستويات اللغوية في جموع الكسرة ٧

مقدمة البحث: ٩

أولاً: مستوى القاعدة وموقف اللُّغويين المتقدمين والمتأخرين مما خرج عن القياس من جموع التكسير ١١

رأي سيبويه: ١١

رأي المبرد: ١٢

رأي ابن السراج: ١٣

رأي أبي علي الفارسي: ١٤

رأي ابن جني: ١٥

رأي الزمخشري: ١٧

رأي ابن يعيش: ١٧

رأي ابن الحاجب: ١٩

ثانيًا مستويات جموع التكسير في القرآن الكريم ٢٨

أ. المسموع غير المقيس ٢٩

- بدنة وبُدْن: ٢٩

- قرية وقُرَى: ٣٠
- نِعْمة ونِعَم وأَنْعُم: ٣١
ب. مما لم يقره علماء اللغة من الجموع: ٣١
- صاحب وأصحاب ٣١
ج. تبادل جموع القلة مواقعها: ٣٤
- يمين وأيمن وأيمان..... ٣٤
- أحْمُل وأَحمَال..... ٣٧
د- وقوع جمع الكثرة مكان جمع القلة: ٣٨
- أقراء وقُرُوء: ٣٨
ثالثا: مستويات جموع التكسير على لسان الناطق العربي ٣٩
أ. المرونة اللُّغوية على لسان العربي: ٣٩
ب. جموع التكسير بين الحقيقة والمجاز: ٤٢
خاتمة ونتائج البحث..... ٤٦
نتائج البحث: ٤٩
المصادر والمراجع ٥١
المبحث الثاني التناقض بين النظر والتطبيق في درس الاشتقاق..... ٥٥
تمهيد: ٥٧
مجمل ما قيل في الاشتقاق الصغير: ٥٩

رأى سيبويه(ت١٨٠هـ): عرض ومناقشة تناقض ما نقله اللغويون عن سيبويه عما صرح به في كتابه: ٦٠

التناقض بين النظر والتطبيق عند بعض القدامى الذين جعلوا المصدر أصلا للفعل: ٦٧

رأي المبرد: ٦٧

رأي ابن جني: ٧٠

رأي ابن عصفور: ٧١

رأي أبي حيان: ٧١

رأي ابن هشام: ٧٢

بعض آراء من ذهبوا إلى أن الفعل أصل للمصدر: ٧٣

رأي ابن القوطية: ٧٣

رأي القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب: ٧٣

رأي ابن القطاع: ٧٤

رأي ابن مالك ٧٤

حجج الكوفيين والبصريين، وتفنيدها: ٧٤

آراء بعض اللغويين المحدثين وما وقع في كلامهم من تناقض: ٨١

خاتمة البحث والنتائج ٨٦

المصادر والمراجع ٨٩

المبحث الثالث: أثر قرينة السياق في العدول الصرفي ٩٣
مقدمة البحث: ٩٥
الدلالة والسياق والعدول: ٩٧
صور العدول الصرفي: ٩٨
الدواعي اللغوية للعدول الصرفي: ١٠٣
قواعد التوجيه للعدول الصرفي: ١٠٦
قرينة السياق اللغوي والعدول الصرفي: ١٠٨
أثر قرينة السياق اللغوي في العدول عن البنية الصرفية في القرآن الكريم: ١١١
العدول عن [خلقوا] إلى [خرقوا]: ١١٢
العدول عن [أقسم لهما] إلى [وقاسمهما]: ١١٤
العدول عن [أعدَّت لهن] إلى [وأعتدت لهن]: ١١٦
العدول عن [جاءها] إلى [فأجاءها]: ١١٨
العدول عن [يختصون] إلى يخصِّمون]: ١٢٢
العدول عن [يختصفان] إلى [يخصفان]: ١٢٣
العدول عن [يهتدي] إلى [يهدِّي]: ١٢٤
تعانق العدول والتخصيص في الاستعمال القرآني للأفعال [تلا]، [رتّل]، [قرأ]: ١٢٥
ملخص البحث والنتائج ١٣١

المصادر والمراجع ١٣٥
المبحث الرابع: التماسك النصي في قصيدة إيليا أبي ماضي ((وطن النجوم)) ... ١٤١
تمهيد: ١٤٢
مقدمة البحث ١٤٥
السبك: ١٤٥
الحبك: ١٤٨
توجهات النص أو (عالم النص) ومركز الضبط أو(الذات المحورية) ... ١٥١
المرتكز اللغوي المحوري: ١٥٢
المرجعية: reference. ١٥٣
الجملة الاسمية والجملة الفعلية والموقع الإعرابي: ١٥٨
الاستبدال Substitution: ١٦١
الربط Conjunction ١٦٣
التماسك اللفظي (المعجمي) lexical Cohesion ١٦٥
الترابط الإيقاعي: ١٦٧
أولا: الوزن: ١٦٨
ثانيا: القافية: ١٦٩
ثالثا: التوافق التقسيمي ١٦٩
ملخص البحث والنتائج ١٧٣

نص قصيدة ((وطن النجوم)) ١٧٧

المصادر والمراجع ١٧٩

فهرس الموضوعات ١٨١٢